البيان

السنة الاولى —— الجزء الخامس

اول يوليو سنة ١٨٩٧

اللغة والعصر

(تابع لما فى الجزء السابق)

على أنك لو طفت اليوم في جميع أنحاء البلاد التي كانت مبآءةً للعرب ومعرضاً لحضارتهم وفنونهم لم تكد تجد موضعاً تتوسم فيهِ آثار ذلك القديم سوى الديار المصرية التي هي مستودع ذخائر السلف ومجمع شمل علومهم في شمل بقاياهم والتي ان كان قد كُتب لهذه اللغة ان تستأنف البقآء مدة اخرى فان مبعثها انما يكون من ناحيتها وعلى ايدي رجالها وان سبقهم الى احيآء رسومها بعض المجاورين لهم ممن اصطبغوا صبغة العرب وليسوا منهم في شيء وشتّان بين من يُعنَى بالامر لضَرُورةٍ أحوجتهُ اليهِ ومن تكون فائدتهُ لهُ وخسرانهُ عليهِ

وقد كان عُقِد في هذه العاصمة اعني مدينة القاهرة مُجتَمَعٌ لُغَويٌّ تطالّت اليه أعناق الناطقين بالضاد من جميع الآفاق العربية وتوقّع المتأدّبون منهُ فوائد جمّة مما لم تبرح النفوس متطلعةً اليهِ والامانيّ معقودةً عليهِ فاعترض دون تلك الثمرات ما عُهِد في اهل الشرق عامّةً والمصريين خاصةً من وِنآء الهمم وتخلُّف

الثبات على حين لم يجروا في هذا الشوط الاّ خطوات يسيرة ابانوا فيها عن رأيٍ فطير وبضاعةٍ مُزْجاة وصدرت الآمال عَنهم كما وردت لم تظفر منهم ببلّة بل تجرّعت من اليأس ما زادها على غُلّتها غُلّة

ولا بأس ان نُلِمّ في هذا المقام بطرفٍ من تأريخ هذا المجتمع والكشف عن شيء من أعمالهِ بياناً للغاية التي جعلوها نُصب ابصارهم واستنهضوا لها هممهم ثم المبلغ الذي ادركوهُ من ذلك والأمد الذي استولوا عليهِ منهُ لا نريد بذلك تسوئةً لهم ولا غضًّا منهم ولكن الاشارة الى اوجه التقصير فيما هموا بهِ من هذا الامر الخطير والبحث في الخطة التي ينبغي سلوكها للوصول الى المقصد الذي تمثل لهم بعد ما اوضحنا من الحاجة الماسّة اليهِ وما يترتب عليهِ من الفوائد التي أيسرها تدارُك اللغة من السقوط ولحاقها بلغات الغابرين

لا جرم ان الامور انما تستتبّ بالرأي قبل العمل والحازم مَن اذا همّ بمفعولٍ نظر في غاياتهِ قبل مبادئهِ حتى يكون مدخلهُ فيهِ سديدًا ومخرجهُ منهُ حميدًا. فأوّل ما يؤخذ عليهم في امر هذا المجتمع انهم حصروا انتخاب المشتغلين بهِ في عداد رجال مصر وحظروا ان يشاركهم فيهِ غيرهم من سائر الناطقين بهذا اللسان وهو امرٌ قد خفي علينا وجه الحكمة فيهِ بل لم نجد لهم عذرًا يخرجهم من المؤاخذة عليهِ. فانهُ ان كان ذلك عن مزيد اعتدادٍ بانفسهم في كفاية هذا الامر حتى أدّاهم الى ترك الاعتداد بغيرهم فهي السوءة التي لا يسترها احسانٌ ولا يشفع فيها فضلٌ ولا مزية بل هي السقطة التي تقضي وحدها على عملهم بالحبوط ومساعيهم بالإخفاق. وذلك أن ما عقدوا العزم على إحداثهِ في هذا المجتمع من الزيادة والتبديل في الفاظ اللغة امرٌ لا يستتبّ نفعهُ ولا تتحقق ثمرتهُ الاّ بأن يعمّ استعمالهُ بين المتكلمين بها وتتداولهُ ألسنتهم واقلامهم حتى

يُلحِقوهُ بأصل اللغة و يعتبروهُ في دلالة اوضاعها . وعلى ذلك فمن لم يدعوهُ من اولئك الى مشاركتهم في الرأي ومشاطرتهم وجه الحكم فقد دعوهُ بلسان حالهم الى متابعتهم فيما يرون والنزول على ما يحكمون وذلك امرٌ ولا سلطة تعضدهُ لا يتسنى الاّ برضى من يدعونهُ اليهِ وارتياحهِ الى موافقتهم عليهِ وهيهات ان يرضى بذلك منهم وهم قد جعلوا بريدهمْ اليهِ ما علمت من الاستخفاف والازدهاء . وان كان ذلك طلباً للأَثَرة والانفراد بالمزيّة على غيرهم فهو امرٌ في غير محلّهِ ايضاً وليس من النَصَفة ولا السداد في شيء . وذلك أمّا أوّلاً فلأنهُ لو كان الامر الذي اجتمعوا لهُ من شؤون مصر الخاصّة لم يكن في ذلك لأحدٍ حُجّةٌ عليهم ولا حقّ المطالبة بالدخول معهم فيهِ ولكنهُ من الامور الشائعة بين جميع الأُمّة على السوآء ليس بعضها احقّ بهِ من بعض فانفرادهم بهِ دون سائرها استبدادٌ لا وجه لهُ وداعٍ الى المنافسة والتخاذل ونقض عروة الوئام . وأمّا ثانياً فلأن مدار العمل على سدّ ما طرأ على اللغة من النقص ووضع ألفاظٍ بازآء المعاني التي حدثت في الأعصر المتأخرة وهناك من الاوضاع والمصطلحات ما لو جُمعت مفرداتهُ في كل فنّ لبلغت ان تكون مجلّداتٍ كثيرة . ولا يخفى ان هذا من الاعمال التي لا يضطلع بها الا العدد العديد في الزمن المديد مما يدعو الى تضافر الأيدي والاستكثار من العاملين مع مواصلة الجد وادمان الاشتغال ثم هو مع ذلك ربما اتى علينا قرنٌ بتمامهِ ولم نبلغ آخرهُ بل كيف نبلغهُ ونحن لا نفضي الى ذلك الزمن حتى يكون قد حدث من تلك الاوضاع اضعاف الموجود الآن . و بعدُ فانَّ نقل هذه الاوضاع الى لغتنا لا يكفي فيهِ العلم بقوانين العربية والاحاطة بألفاظٍ منها نستظهرها من بطون الدفاتر بل من مقتضاهُ ان يكون اكثر المشتغلين بهِ من العارفين باللغات المنقول عنها

والمطّلعين على علوم اربابها وصنائعهم وسائر فنونهم ليكونوا على بيّنةٍ من مواضع النقص المشار اليها وتحقيق المعاني التي ينبغي وضع الفاظٍ لها مما يؤدّي به المقصود على وجههِ وليس في مصر وحدها من هذه الطبقة الاّ رجالٌ معدودون لا نحسبهم ان كانوا قد جعلوا لهم مكاناً من هذا العمل كافين للاضطلاع بهِ على طولهِ واتّساعهِ وعلى ما يقتضيهِ من التفرغ وادمان النظر . فقد كانوا والحالة هذه في اشدّ الحاجة الى ان يكون لهم في كل قطرٍ أُناسٌ من امثال اولئك يؤازرونهم في العمل ويكونون اعواناً لهم على النجح وكان يبقى لهم من المزيّة التي حرصوا عليها انهم هم الشارعون في تأسيس هذا المجتمع والداعون اليهِ وان ارضهم مُلتقَى اشعتهِ ومُنبثق انوارهِ وهذا كافٍ في باب الأَثَرة وهو مما لا يَنفَسهُ عليهم منافس . وبالتالي فانهم لو نظروا نظرةً في التأريخ لأَرَتهم مثال ما هم فيهِ بما يسفر لهم عن وجه الرأي وينهج لهم سبيل العمل اذ ليست هذه أوّل مرةٍ عبر فيها على الأُمّة مثل ذلك ودعت الحال الى الإِحداث في اللغة وادخال شيء جديد بين اهلها . فكلٌّ يعلم ما فعل المأمون حين عرّب كتب اليونان والفُرس والسريان في الطب والحكمة والعلوم الطبيعية والرياضية وغيرها فانهُ لما لم يجد في الأُمّة من يضطلع باستخراج هذه الكتب الى العربية لم يتوقف عن استدعآء قومٍ من نساطرة العجم ليتولوا لهُ نقلها لم يستنكف من ذلك ولا أَنِف من ببابهِ من العلمآء الذين حشدهم اليهِ من اطراف البلاد وناهيك بهم من كانوا ان يشاركوهم في العمل. وقد افرد لهم مكاناً في بلاطهِ ووزّع تلك الاعمال بينهم على ما يحسنهُ كل فريقٍ منهم ثم جعل لهم يوماً في الاسبوع يجتمعون فيهِ وتُعرَض اعمال المعرّبين على علمآء اللغة فيُقرّون منها ما وجدوهُ سديدًا وينظرون في غيرهِ مما لم يقع المعرّبون على وجههِ فيصححونهُ

اما ما كان من ثمرات هذا المجتمع فزبدة ما اتصل بنا انهم عقدوا ستّ او سبع جلساتٍ استحدثوا فيها عشرين لفظةً بازآء عشرين كلمةً من الالفاظ الاعجمية ولا بأس ان نذكر بعض هذه الالفاظ في هذا الموضع تتمةً لسياقة البحث

فمنها قولهم مَرْحَى وأَيْحَى في مكان « برافو » وبَرْحَى في مكان « في » وهي كلماتٌ تقال الأُوليان منها لمن اصاب المرمى والثالثة لمن اخطأهُ فنقلوها الى مطلق معنى الاستحسان او الاستهجان . وقد تكلفوا في هذه الالفاظِ على ما نرى « وابعدوا المرمى » بما لا حاجة اليهِ لوجود كثيرٍ في كلام العرب من مشهور اللفظ ومأنوسهِ يغني عن اجتلاب هذه الكلمات ونقلها عن مواضعها . فمن قولهم في الاستحسان أحسنتَ وأجدتَ وأبدعتَ ولله درُّك ولله انت ولله ابوك وماشآءَ الله كان وكذا والّا فلا وما اشبه ذلك . ومن هذا القبيل قولهم بَخٍ بَخٍ وبَهٍ بَهٍ وزِهْ بكسر فسكون وهذه الاخيرة من مستدركات الزبيدي على القاموس نقلاً عن الاغاني . ويقولون في التقبيح سَوْءةً لفلان وقبحاً لهُ وخِزْيًا لهُ وتَبًّا لهُ وأُفٍّ لهُ ولاأبالهُ وخَسِئَ الأبعد وخَزِي ولادَرَّ دَرُّهُ ونحو ذلك وكلها من الالفاظ الوافية بالمراد على خلوّها مما في تلك من الغرابة وما في بعضها من الاستهجان في السمع

ومنها قولهم عِمْ صباحاً وعِمْ مسآءً في مقابلة « بونجور » و « بونسوار » وهما مما لا داعي اليهِ ايضاً اذ لا اكثر من ألفاظ التحية عندنا فضلاً عن انهما من قديم اللفظ الذي قد أُميت استعمالهُ منذ ازمانٍ مديدة فلا تُقبَلان في هذا العصر. وبعدُ فلا نزيدهم علماً ان الذين يقولون بونجور وبونسوار ليس ذلك منهم عن افتقار الى لفظٍ يرادفهما بالعربية فان اجهل العوامّ يقول في تحية الصباح نهارك سعيد او صبّحك الله بالخير مثلاً وفي تحية المسآء ليلتك سعيدة او اسعد الله مسآءك

ونحو ذلك . ولكن الداء الذي ارادوا علاجهُ بهاتين العبارتين ليس من الادواء التي تعالَج من هذا الكتاب ولا التي ينجع فيها هذا الضرب من العقاقير انما علاجهُ تلقين فتياننا حبّ الوطن وتنشئتهم على عزّة النفس والاعتداد بحرمة الذات حتى لا تتسفل اهوآؤهم الى التشبُّه بغيرهم ممن ليسوا بخيرٍ منهم احساباً ولا اشرف خلالاً وقد بقي من أعراض هذا الداء ما تجد استعمال هذه الالفاظ في جنبهِ سهلاً نسأل الله ان يلهمنا رشد انفسنا وهو وليّ الهداية

ومنها قولهم نمرة في موضع « نومرو » وهذه لا تخلو من غرابة فان كان القصد منها تعريب اللفظة اي تحويلها الى صيغةٍ توافق الابنية العربية فهو مما سبقتهم اليهِ العامّة يقولون كم نمرة هذا الثوب مثلاً . وان كان مرادهم ان النمرة لفظةٌ عربية بهذا المعنى فلا صحة لهُ لان النمرة في اللغة النكتة في الشيء تخالف لونهُ كما يُرى في جلد النَمِر مثلاً فكان الأَولى ان يبحثوا عن لفظةٍ عربيةٍ توافق المعنى والاّ فهذه كغيرها من الكلم التي كانوا يضعونها اتفاقاً من غير ان يطالبهم بها مطالبٌ فلم يكن عليهم بأسٌ من تركها وارجائها الى فتحٍ جديد

ومنها الحرّاقة في تعريب « التوربيد » قالوا وهي اي الحرّاقة سفينةٌ فيها مرامٍ للنيران يُرمى بها العدوّ في البحر ولا يخفى ان هذه ليست في شيء من التوربيد اذ هو عبارةٌ عن صندوقٍ ونحوهِ من رقيق صفائح المعدن يُحشَى بالبارود ويُرسَل في قعر البحر حتى يصير تحت سفينة العدوّ ثم يُفجَر بنابضٍ (زنبرك) او سلكٍ كهربآئي فتنقذف السفينة صُعُداً . والتوربيد في الاصل اسمٌ لسمكٍ كهربآئي من لمسهُ خدرت يدهُ وتسميهِ العرب بالرعّاد وهو اللفظ الذي استعملهُ بعضهم في تعريب هذه الكلمة ولعلهُ أولى

ومنها الوشاح اختاروهُ للتعبير عن «الكوردون» الذي يُتخذ للسيف بجامع الهيئة على انهُ ليس تعريباً للفظة الاعجمية اذ هي في الاصل عندهم بمعنى القوّة من قُوَى الحبل ثم نقلوها وان لم يظهر وجه النقل الى هذا السفيف من منسوج الحرير ونحوهِ تشدّهُ النساء على اوساطهنّ ويزيّنّ بهِ رؤوسهنّ وتجمع بهِ اطراف السجوف وكِلَل الأسرّة ويتخذ منهُ نجاد السيف وغير ذلك والوشاح لا يصلح لشيءٍ من هذه المذكورات الّا للمعنى الاخير فهو اخصّ من اللفظة المعرَّبة ومع ذلك فلا بأس باستعمالهِ لهذا الموضع

ومنها الطنف لما يسمى «بالبلكون» الا انهم فسّروهُ بالسقيفة التي تُشرَع فوق باب الدار وهي غير البلكون على ان اللفظة أوسع مما ذكروا ويرادفها ايضاً الجناح وهو أحسن لفظاً وأدلّ على المراد

ومنها المِشجب لما يقال لهُ عند العامّة «شمّاعة» وهو بالافرنجية «بورت مانتو». وحَصَب الطريق بالحصباء مكان قولهم «وضع فيها المكدام». والمِعطاف والمِمطف لما يسمّى «البالطو» و«البَاردسو» كذا من غير تعيين والأظهر أن ما اختاروهُ يوافق الاول واما الثاني فأليق ما يسمَّى بهِ الدِثار فان كان يُتّقى بهِ ماء المطر فهو المِمطر والمِمطَرة

ومنها البهو بمعنى «الصالون» والقفّاز بمعنى «الجوانتي» والبطاقة بمعنى «الكارت» والشرطي والجواز بمعنى «البوليس» وهذه كلها مما سُبقوا اليهِ

وبقيت ألفاظٌ أُخر أُرسلت من عفو الذاكرة ولم ينضجها الفكر فلا نطيل باستقصآئها والكلام عليها. على انهُ مهما يكن من امر هذه الكلمات فلم يكن من المتعين ان يكون كل ما يضعونهُ واردًا مورد الاصابة ولا ينبغي ان يُتوقع مثل ذلك من ايّ قومٍ تعاطوا مثل هذا الامر الدقيق على ما يقتضيهِ

من الاحاطة و بُعد النظر وكثرة التنقيب في اعطاف الحافظة وبين تضاعيف السطور ولا سيما ان تلك الألفاظ كانت تصدر من وضع الواحد ثم تُنشَر بلا بحثٍ ولا تنقيح فلا عجب ان جآء بعضها مرمًى للنقد . على أنهم لو مضوا على ما بدأوا بهِ من ذلك وأدمنوا الاشتغال بالبحث والتقييد لجآء فيما يضعونهُ فوائد لا تُحصَى ولخدموا اللغة خدمةً سنيّة كانت تردّها عليهم شكرًا جزيلاً وذكرًا على الايام جميلاً ولكنهم لم يلبثوا بعد وضع هذه الكلمات ان تشاغلوا بانشاد القصائد والقآء الخُطَب ثم خُتِم المجتمع على هذا القدر ستأتي البقية

الصابئة

(عود الى ما في الجزء الثالث)

بنآءً على تقاضي بعض مشتركينا الكرام لما وعدنا بهِ في آخر الفصل الذي سبق لنا ايرادهُ في تعريف الصابئة نعود الى بيان بعض عقائدهم وشعائر دينهم على شرطنا من الايجاز والتحصيل فنقول

تعتقد الصابئة وجود الهٍ واحد كائن بنفسهِ هو علة الكائنات باسرها حيّ ٍ أزليّ أبديّ ٍ منزّهٍ عن الهيولى لا تنالهُ الحواسّ ولا يُفضِي اليهِ مخلوق . ويليهِ في المنزلة ثلاث مئة وستّون شخصًا قد أُوتوا ان يفعلوا افعال الآلهة الاّ أنهم ليسوا بآلهةٍ ولا هم في عداد القدّيسين لانهم لم يكونوا بشرًا قطّ ولا يُعدُّون في الملائكة وان كانوا صنفًا منهم لان منهم من يباشر أعمال الخلق كوروردّربوتو وهيويل زيوو . وهم يعلمون كل شيءٍ ويعرفون الغيب من المستقبلات ولكلٍّ منهم في عالم النور مملكةٌ يتولى امرها . أمّا أصل وجودهم فانهم ليسوا بمخلوقين كغيرهم من الكائنات ولكن الله ناداهم باسمآئهم فوُجد كلٌّ منهم من تلقآء

نفسهِ حال ما جهر باسمهِ واجاب نداَءهُ . وهم متزوجون بنسآء من نوعهم ولهم اولاد غير أن اولادهم ليسوا ثمرة هذا الزواج ولكن الواحد منهم يلفظ كلمةً فتحمل امرأتهُ

وهؤلآء الثلاث مئةً والستون متفاوتون في المنزلة والقدرة وكلهم يعبدون الله ويوحّدونهُ وجميعهم تحت إِمرة موروودَّربوتو الذي هو اول زعمآئهم واعلاهم مقاماً

وفيما تروي الصابئة أنّ موروودَّربوتو أراد يوماً ان يبعث بهديةٍ الى أوَثار وفتاحيل — وهداياهُ انما تكون ضرباً من الرفعة في القدر او البسطة في القدرة — فندب لذلك شيشلوم رَبّو وهو ثُنيانهُ اي الذي يليهِ في المنزلة فامتنع من اجابتهِ فغضب موروودّربوتو وعاقبهُ على تمرُّدهِ بأن ايبس كل ما في مملكتهِ من شجرٍ وبقلٍ وغيَّض ما فيها من المياه وأهلك جميع أُسرتهِ . فلما رأى شيشلوم ربّو ما حلّ بهِ توجه الى الملأ الأعلى من رصفآئهِ ورغب اليهم ان يشفعوا لهُ عند موروودّربوتو في الصفح عن خطيئتهِ فأجابوا وانطلقوا اليهِ وكلموهُ في الامر وعذلوهُ على ما كان منهُ فقصّ عليهم ما كان من معصيتهِ في امر الهدايا وقال اني حين دعوتهُ لذلك لم اكن انوي ان اكلفهُ حملها بنفسهِ ولكني اردت ان اعهد اليهِ في انفاذها على يد واحدٍ من حَشَمهِ فأعرض عن ندآئي انفةً واستكباراً فعاقبتهُ . فأخذوا يسكّنون من غيظهِ الى ان أذن لهم في ادخالهِ الى ما بين يديهِ فلما أُدخل عليهِ وقع على قدميهِ وتضرّع اليهِ في العفو عن جرمهِ فعفا عنهُ بعد أن اخذ عليهِ مواثيق الطاعة ثم انهُ بكلمةٍ واحدة احيا زوجهُ وبنيهِ وأعاد نباتهُ الى خضرتهِ واجرى ما نضب من مياه مملكتهِ

فمن اولئك الثلاث مئةً والستين « موروودَّربوتو » هذا وهو زعيمهم كما سبق ذكرهُ و« شيشلوم ربو » المشار اليهِ وهو ثُنيانهُ. ومنهم « مندودايي » ابو يحيى

و « هيويل زيوو » وقد مرّ ذكرهما فيما سلف . ومنهم « سام زيوو دَخيو » وهو احد حَفَظة الشمس و « حوشابو » وهو صاحب يوم الاحد وباسمهِ يسمى اليوم المذكور عندهم . و « سيموث حايي » وهي انثى ومنزلتها بين الإناث منزلة موروددّربوتو بين الذكران . ومنهم « مخزيون مالولو » وهو اسم الشجرة التي تُرضع الاطفال في الفردوس وقد سبق الكلام عليها هناك وانما جعلوها في عداد هؤلآء لانهم نزّلوها منزلة الحيّ لاعطآئها اللبن وهم يبتهلون اليها في ادعيتهم . ومنهم « أَوثار رامو » وهو ديّان مَترُوثوس اسي الجحيم وحارس الفردوس معاً . و « فتاحيل بَرْ زهريئيل » اي ابن زهريئيل وهو الثاني بعد أَوثار في المَترُوثوس وهو موكَّل بالسيطرة على انفاذ العقوبات . ومنهم « يحيو يوحونو » اي يحيى يوحنا وانما احصوهُ في جملة هؤلآء لانهُ ابن مندودايي . ومنهم « بهرام ربّو » وهو موكَّل بحراسة الانهار ولذلك فان الصابئة تبتهل اليهِ ابدا في صلواتها عند الوضوء

وهم يعتقدون بالارواح الخبيثة ويسمونها « مولوخون » وهي مختلفة الانواع والاديان فمنها نصارى ويهود ومسلمون وصابئة وغير ذلك . فمن هذه الارواح ما هو موكّل بعذاب النفوس في المَترُوثوس ومنها ما هو مُغرًى بتجربة البشر واستدراجهم الى الاثم ومنها ما دأبهُ ايذآء الناس وهؤلآء لا يسكنون الّا الظلمات والمجاهل واماكن الخراب وما من شرٍّ يحدث بين الناس كالجنون والموت الفجآئي والانتحار والهلاك بالسقوط او تحت الردم الّا وهو مسبَّبٌ عنهم وعلى الجملة فهم عندهم بمنزلة الجن عند غيرهم

اما حديث الخلق عندهم فمن الأسرار التي يحرصون على كتمانها اشدّ الحرص حتى لا يبوح بهِ احدهم ولو بضرب عنقهِ ولا بأس ان نسوقهُ هنا لغرابتهِ وان كان فيهِ بعض الطول على انّا سنوجز فيهِ ما امكن والله المستعان

فأوّل كائنٍ في مذهبهم برز بأمر الله الى حيّز الوجود هو موروودّربوتو ثم تلاهُ أتباعهُ الثلاث مئةً والستون المالكون تحت إمرتهِ على عالم الانوار على ما تقدم قريباً

وان هؤلاء الاشخاص اجتمعوا يوماً وصاروا الى موروودّربوتو زعيمهم وسيّدهم وقالوا لهُ هل هذا الذي نراهُ هو الخلق كلهُ ام نتوقع حدوث خلقٍ آخر فقال هذا ما ليس لي ان ابتّ فيهِ قولاً اذ هو من الامور التي اختصّ الله علمها لنفسهِ لكنّ من رأيي ان نذهب بأجمعنا اليهِ نستنزل علم ذلك من لَدُنهُ . فمالوا الى العمل بقولهِ الّا انهم استصعبوا تلك الرحلة لبُعد المسافة بين عالمهم والمقام الربّاني حتى انهم مع ما أُوتوا من القوّة الروحانية بحيث يقطعون في ساعةٍ ما يقطعهُ غيرهم في عشرة ايام خافوا ان يدركهم الاعياء وهم في أثناء الطريق. فتضرّع موروودّربوتو الى الله ان يؤتيهم زيادةً في القوّة يقدرون بها على قطع تلك المسافة الشاسعة ثم شرعوا في طريقهم فساروا سيرًا متواصلاً لا يلوون على شيءٍ ولا يبتغون لانفسهم راحةً ولا دعةً وقد طالت عليهم الرحلة ولمتدّت شقّة السفر وهم كلما قطعوا ارضاً رُفعت لهم اخرى حتى بلغ منهم الجهد والاعياء ومع ما ازدادوهُ من القوّة الجديدة سقطوا وسقط موروودّربوتو معهم في كلالٍ تامٍّ حتى عجزوا ان ينقلوا خطوةً واحدة

ولما رأوا ما أحاق بهم من القنوط رفعوا اصواتهم بالابتهال الى الله ان يتداركهم بعونهِ وينتاشهم من تلك الحال وفيما هم على ذلك اذ لمع نورٌ عظيم اضاء كل ما حولهم وغشيهم برقٌ سماويٌّ فسقطوا لوجوههم على الارض . فعاد الله وبثّ فيهم قوةً الهية ومدّ يدهُ الى موروودّربوتو ورفعهُ فنهض ونهضوا كلهم معهُ الّا ان ابصارهم كانت مبهورةً فكانوا لا يرون حولهم الّا نورًا يسطع من

كل ناحيةٍ فكشف الله عنهم تلك الدهشة ثم أجلسهم

حينئذٍ شرعوا في حديثهم ومورودّربوتو في مقدّمتهم فذكروا لهُ السبب الذي قدموا لأجلهِ وسألوهُ هل ينوي ان يُحدِث عالمًا آخر غير العالم الذي هم فيه . فأجابهم وقد وجّه كلامهُ الى مورودّربوتو ثم اليهم ان في نفسهِ ابداع عالم جديد لكنهُ سيعهد في ابداعهِ الى مورودّربوتو أي انهُ سيُفرغ عليهِ من قوتهِ حتى يتولى بنفسهِ خلق هذا العالم الجديد. ثم رسم لهُ ما ينبغي ان يصنعهُ في ذلك فقال

« ترسل هيويل زيوو الى عولمي دْلَحْشوخو فيصادف ثمَّ امرأة تسمى روحايا قد تزوّجت من ابن عمٍّ لها يقال لهُ كارافيون وتكون تلك المرأة حاملًا فيجي بها اليك فتضع ولدًا يسمَّى أُور وهذا الولد يكون مُرصَدًا عندك لحمل العالم الجديد على رأسه فاذا بلغ السنّ التي يقوى فيها على ذلك تشرع في عمل الخلق . فاول ما تفعل أنك تبعث الى اوردو دْنُخوشو[1] فتؤتى من ثمَّ بسبع حفنات من الغبار[2] فتأخذ الحفنة الاولى منها وهي من الحديد فتدوفها بالماء فتصير ارضًا حديدية فتجعلها مقرًا لقدَمَي أُور . ثم تأخذ الستّ الحفنات الباقية فتخلق منها ستّ أَرَضين أُخر تضعهنَّ على رأسهِ وكل واحدة من هذه الأَرَضين تكون بجملتها مركبةً من المعدن الذي أُخذت منهُ وبعد ذلك تخلق السماوات» .

ولما فرغ الله من رسم اوامرهِ لمورودّربوتو صرف القوم فانقلبوا عائدين الى عالم الانوار

---

١ هو اسم موضع من عالم الانوار ٢ هذه الحفنات من معادن مختلفة وهي الحديد والنحاس والزئبق والرصاص والفضة والذهب والتراب وهو اخر حفنة ومنه ارضنا

ولما استقرَّ بهم المقام اجتمعوا للشُورَى تحت امرة مورودَّربوتو ثم توجهوا الى هيويل زيوو فأنهوا اليهِ الرسالة التي أُمر بها من قبَل الله ان يذهب لبحث عن أُمّ أُور. فاجاب هيويل زيوو الى ذلك وخرج بعد ان دعا لهُ مورودربوتو ان يُؤتَى قوّةً تبلّغهُ هذه الوجهة البعيدة وشيّعتهُ الجماعة كلها ما خلا مورودَربوتو فخرجوا في صحبتهِ بعضهم برًا وبعضهم بحرًا على الزوارق وبعد ما قطعوا معهُ مسافةً طويلة حتى أعيوا عن المزيد عزم عليهم هيويل زيوو فودّعوهُ ورجعوا الى مورودَّربوتو وقد خلّفوا معهُ اثنين منهم يتوليان حراستهُ يقال لأحدهما زَهير وللآخر زارون فبقيا في صحبتهِ وقد اخفاهما مورودَّربوتو عن بصرهِ بحيث كانا يخاطبانهِ ويسمعان كلامهُ دون ان يراهما

وبعد ان سافروا سنين وقرونًا بلغوا الى حدود عولمي دلحشوخو فانطلق هيويل زيوو حتى لقي ملك تلك البلاد واسمهُ « اشدوم » وقص عليهِ الامر الذي جآء من اجلهِ وسألهُ عن مكان المرأة فقال الملك هذا امرٌ لا علم لي بشيءٍ منهُ ولكني مرسلك الى ملكٍ آخر في ارضٍ تبعد من هنا فلعلهُ يبلغ مرضاتك فيما تسأل عنهُ قال فاني صائرٌ اليهِ لكن لي اليك مسئلة وهي ان تعطيني خاتمك ليكون شاهدًا لي عند هذا الملك اني مُنفَذٌ اليهِ من لدنك . فنزع اشدوم خاتمهُ ودفعهُ اليهِ فاخذهُ وعاد في طريقهِ وبعد سفرٍ مديد وصل الى البلاد التي اشار لهُ اليها وعليها ملكٌ يقال لهُ « انوثون » فدخل عليهِ وابرز لهُ خاتمَ الملك اشدوم وأعاد عليهِ قصتهُ فأجابهُ بمثل ما اجابهُ بهِ الملك اشدوم وارسلهُ الى ملك آخر واعطاهُ خاتمهُ فانطلق ايضاً يقصد الملك الآخر وبعد ان قضى سفرًا طويلاً وصل الى عاصمة الملك فألفاهُ غائبًا في قصرٍ لهُ بظاهر المدينة فوافاهُ حيث هو فلما دخل عليهِ اذا امامهُ جبّارٌ عظيم الجثة لا تدرك العين

اطرافهُ طولاً ولا عرضاً واسم ذلك الملك «اكرون» ويُلقَّب «طُورودْبَسْرُو» اي جبل اللحم فسلم عليهِ بقولهِ «شلومو لك اكرون طورو دبسرو» فغضب اكرون من هذا السلام وأغلظ لهُ في الجواب وقال لهُ لولا أنك عندي وفي قصري لعاقبتك بما تستحقهُ على جرأتك . فلما رأى هيويل زيوو ذلك منهُ خرج من القصر وابتهل الى الله فقال اللهمّ انك ارسلتني الى هذا الرجل لقضاء الامر الذي انا صادرٌ فيهِ عن مشيئتك وترى انهُ بغير أن يكون مني اليهِ ادنى سوءٍ قد واجهني بهذه الخشونة فدلّ على انهُ غير جارٍ في طريق ارادتك فألقِ في قلبهِ الانقياد لك لأتمكن من قضاء رسالتي . فلما فرغ من ابتهالهِ سمع صوتاً من السماء يأمرهُ بالرجوع الى الملك فعاد اليهِ فاذا هو في وجوم واختلاط شديد وقد ندم على ما فرط منهُ فأقبل عليهِ ببشاشةٍ واحتفاء وسألهُ عن حاجتهِ فقصّ عليهِ الامر الذي جاء فيهِ فقال لهُ الملك هذا خاتمي فدونكهُ وهذا مفتاح بابٍ من ابواب عاصمتي هو الباب المخصوص بي لايدخل منهُ احدٌ غيري فاذا دخلت المدينة فأقفلهُ ثم هو لا يُفتَح بعد ذلك لأحدٍ ولا لي ايضاً لانك اذ كنت رسولاً من عند الله فالباب الذي تدخل منهُ يبقى مغلقاً الى الابد[1]. فاخذ هيويل زيوو الخاتم والمفتاح وخرج من عندهِ فوافى المدينة ودخل من ذلك الباب وبحث عن أُسرة روحايا حتى افضى اليهم فأنزلوهُ واكرموا مثواهُ واحتفوا بهِ احتفاء عظيماً . وبعد ان اقام بهم حيناً من الدهر عرضوا عليهِ ان يزوجوهُ ابنةً لهم تسمى «زهريئيل» فاظهر الرضى بذلك وضرب

---

١ هى عادة قديمة وممن جرى عليها سلاطين ال عثمان فان الباب الذى يدخل منه السلطان احدى المدن يغلق ثم لا يفتح الى الابد ولا يزال احد ابواب بغداد مغلقا الى يومنا هذا وهو الباب الذى دخل منه السلطان مراد الرابع عند فتحه هذه المدينة سنة ١٦٣٨

لهُ موعدًا بعد اربعين يوماً . ولما دنا موعد الزواج عزم هيويل زيوو على مزايلة المدينة قبل حلول الموعد فتشكل بهيئة اخٍ لروحايا في بلدٍ آخر وانهُ جآء ليزورها فلم تشكّ انهُ اخوها ولبث عندها يوماً او يومين ثم جآء ليودّعها فقال لها لقد اتى عليكِ زمنٌ طويل ولم تزوري أسرتي في بلدي فهل لكِ ان تصحبيني في عودتي اليهم فاجابتهُ الى ذلك فخرج بها من المدينة من الباب الذي دخل منهُ وعاد قاصدًا طريق عالم الانوار

وطالت سفرتهما بعد ذلك وكانت روحايا قد أقربت وقدّر هيويل زيوو ان وضعها لا بدّ أن يكون قبل بلوغهما موطئ القَدَم فكان ذلك مما اهمهُ واقلقهُ فابتهل الى الله وقال اللهمَّ انك قد اخذت بيدي في اخراج هذه المرأة من بين ذويها وقد قضيتُ سنين كثيرة حتى بلغتُ هذا البلد فاذا قضينا مثل تلك المدة في رجوعنا فما انا صانعٌ بالولد الذي ستضعهُ روحايا . فأوحى الله اليهِ بما سكّن جأشهُ وحقق لهُ انهما سيصلان قبل اوان وضعها ثم وهب كلاًّ منهما قوّةً خارقة فجازا في وقتٍ قصير مسيرة سنين متوالية ولم يلبثا أن وصلا الى عالم الانوار فكان لذلك اليوم ابتهاجٌ عظيم عند اهل ذلك العالم باسرهِ وخرج رصفآؤهُ باجمعهم لملاقاتهِ والسلام عليه

ولما القى عصاهُ شرع في بنآء قصرٍ عظيم من الحديد طولهُ ثمانية آلاف فرسخ فجعل فيهِ روحايا ثم انطلق وفي صحبته سائر رصفآئه فدخل على موروذربوتو وأنهى اليه ما فعلهُ وقال لهُ ان المرأة عندي وقد جعلتها في قصرٍ من الحديد فاذا وُلِد أُور فماذا اصنع . فقال تُشعرني بذلك وحينئذٍ اعرّفك ما الذي ينبغي لك صنعهُ

وكان وصول هيويل زيوو الى عالم الانوار في اليوم الثامن عشر

من الشهر الاول من فصل الربيع وهذا اليوم عيدٌ عند الصابئة يسمونهُ دهوو هنينو اسيـ العيد الاصغر . ولما كان بعد ذلك باثني عشر يوماً اي في اليوم الاول من الشهر التالي وضعت روحايا الطفل المنتظر الذي هو أُور وفي وقتٍ قريب نشأ هذا الطفل نشوءًا عظيماً حتى اصبح جبّارًا هائلاً. ولما بلغ ثلاثين شهرًا سأل امهُ اين ابي فقالت ابوك في عالمٍ آخر وقد أُخِذتُ انا قبل مولدك بايام قلائل فجيء بي الى هذا المكان حيث لا اهل لك غيري . قال فَمن الذي اخذكِ من بين أُسرتكِ وحرمني عرفان ذويَّ لأنتصف منهُ. فقالت لا يا ولدي لا تفعل ذلك فاننا انما نقِلنا الى هنا بأمر الله وبعدُ فان كنت تودّ الانتصاف من الذي جآء بنا الى هذا الموضع فانك لا تقدر عليهِ لانهُ اشدّ منك

ولما بلغ أُور العمر المذكور اي ثلاثين شهرًا انطلق هيويل زيوو الى موروددّربوتو وأعلمهُ بمولده فقال لهُ سِر الى اوردو دَنحُوشو وخذ السبع الحفنات من الغبار التي امر الله بها وخذ أُور معك وابدأ بالحفنة الاولى فاصنع منها ارض الحديد وأقم أُور عليها ثم اصنع الأَرَضِين الستّ الأُخر وضعها فوق رأسهِ. فانطلق هيويل زيوو كما امرهُ وأخذ الحفنات السبع ثم جآء الى قصر الحديد فما كادت تقع عين أُور عليهِ حتى عرفهُ انهُ هو الذي سبى امهُ فوثب ليبطش بهِ فألقى عليهِ هيويل زيوو ضيآءً سماويًّا بهر عينيهِ ثم احتملهُ مع امهِ الى المكان المعدّ لخلق الارض وكان ذلك المكان قطعةً من المآء فتناول حفنة الحديد وألقاها في المآء وتلا عليها كلاماً فاستحالت لوقتها ارضاً من حديد فأخذ أُور وأقامهُ عليها ثم فعل كذلك بالحفنات الأُخر ووضع الأَرَضين الواحدة بعد الاخرى على رأس أُور وترك روحايا الى جانبهِ

ستأتي البقية

السوريون

(تابع لما في الجزء السابق)

الموارنة — قد اجملنا الكلام في الجزء السابق على السوريين وأشرنا الى اوجه اختلاطهم بالاجيال التي تغلبت عليهم وافتراقهم فِرَقًا اخصُّ ما تتميز بهِ كلُّ فرقةٍ منها منزعها الديني فوجب الآن ان نوفي هذا البحث المهمّ حقهُ بتفصيل ما اجملناهُ وبسط ما اوجزناهُ فنَصِفهم فرقةً فرقةً على نحو ما آثرناهُ مما لا يخرج عن دائرة علم الطبائع والاخلاق لا نتعرض في شيءٍ من ذلك للمسائل الخلافية في العقائد الدينية مما يبعث على تفريق الكلمة والشقاق على اننا لا نقول الا الصدق في وصف الخصائص الادبية رجآء ان يتقوم منآدها ولا نصدع الا بالحق حثًّا على الالفة وتوثيق الجامعة الوطنية عسى ان تورق بعد الجفاف اعوادها ونحن احوج الامم اليها وسيلةً الى الاصلاح وذريعةً الى الارتقآء في معارج الفلاح

ومعلومٌ ان الطائفة المارونية لهذا العهد في مقدّمة الطوائف القريبة المنشإِ من الجرثومة الأرامية واثبتها على حفظ خصائصها الاصلية لانها اعتصمت منذ الازمنة القديمة في جبل لبنان وامتنعت فيهِ مستقلةً بالمحافظة على آدابها وعقائدها ومنازعها وعوائدها يطرّس الخَلَف على آثار السَلَف وينشأُ الابنآء على آسال الآبآء فلبثت غير متغيرةٍ الا في اشيآء اقتضاها تغيُّر احوال المعاش وتغلب الذوق العصري مجاراةً للاوربيين في ازيآئهم وعوائدهم لذلك قدّمنا ذكرها على سائر الطوائف السورية محافظةً على الترتيب الذي جرينا عليهِ

ولا مرآء في ان البيئة التي تخيَّرها الموارنة منذ القدم قد أثرت تأثيرًا قويًا

في ثبوت صفاتهم الطبيعية وتهيئة امزجتهم للاعتدال لما توفر فيها من الاسباب الكافلة بتقوية الاجسام . ومن تأمل في موقع لبنان البهيج وما قام في سفوحهِ من المدن والقرى والدساكر والمزارع من حضيضهِ الى علو خمسة آلاف قدم بين روابٍ وهضاب قد كستها الطبيعة حلة الجمال السندسية وقد رقَّ هوآؤها وعذب ماؤها فلا يخشى ثمَّ من لفح الهجير في الصيف ولا من زمهرير البرد في الشتآء لقرب المواقع الساحلية من الجبلية عرف بداهةً ان سكان هذا الجبل أقويآء البنية صحاح الابدان ميَّالون الى الحرث والزراعة ذوو نشاطٍ وجلدٍ على مزاولة الاعمال الشاقة

وهذه الروابي والهضاب القائمة عليها القرى الآهلة بالسكان متوعرة المسالك لا تُطرَق الا بجهدٍ وعنآء وما فوقها قللٌ شامخة لا يفارقها الثلج فهي غير مأهولة لشدة البرد وغير مطروقة لكثرة الثلج وقد اشار الى ذلك ابو الطيب المتنبي حيث قال

وعقاب لبنانٍ وكيف بقطعها   وهو الشتآء وصيفهنَّ شتآء

لذلك كان هذا الجبل حصناً منيعاً لجأ اليهِ السوريون منذ الازمنة القديمة هرباً من جيوش الفاتحين الذين اجتاحوا سوريا في اطوار متعددة . ولا يخفى ان مدن سوريا القديمة كدمشق وانطاكية وحماة وغيرها كانت آهلة من قبل بالسريان فلما ظهرت النصرانية وانتشرت بينهم قام فيهم رجالٌ أُشربت قلوبهم حبَّ الرئاسة فتوسلوا بالمشاحّات على العقائد الى بلوغ ما طمحت اليهِ نفوسهم فحدث الخصام والشقاق بين رؤسآء الاحزاب وتبعهم كثيرٌ من السذَّج منقادين الى اهوآئهم وكان القياصرة يتداخلون في امور الدين وقد عظم استبدادهم واشتدّ عسفهم فثقلت وطأتهم على الذين توهموا فيهم مخالفة آرائهم ومبادئهم ولم

يكن لهؤلآء المضطهَدين ما يمنع عنهم الظلم ويعصمهم من الاستبداد الا الهرب الى الجبال. ولما دحر العرب الروم عن مدن سوريا في صدر الاسلام لجأ النصارى واكثرهم من السريان الى جبل لبنان فاعتصموا فيهِ وقويت شوكتهم حتى صدّوا جيوش معاوية مرارًا عن المسير لنجدة المسلمين الذين تقدموا لفتح القسطنطينية حينئذٍ وقد حاصروها وضيَّقوا عليها مدة سبع سنين متوالية. ثم لما حوَّل عبد الملك بن مروان الحج الى بيت المقدس حذرًا من فتنة ابن الزُبير في مكة خاف على الحجاج من نصارى الجبل فتواطأَ مع يستنيان بن قسطنطين ملك الروم على اخراجهم منهُ فكتب يستنيان الى اميرهم يوحنا ينهاهُ عن مناوأة المسلمين ويأمرهُ بالشخوص اليهِ فامتنع من اجابتهِ فاغتاظ الملك ونسب اللبنانيين الى العصيان والتمرد فلذلك سموا بالمَرَدة ثم سيَّر اليهم جيشًا كثيفًا وتظاهر بانهُ انما سيَّرهُ لقتال العرب فبلغ غايتهُ من التنكيل بهم. ويدلُّ على ان الجبال كانت ملجأً بعد ذلك للنصارى قول ابي الطيب

وما الجبال لنصرانٍ بحاميةٍ ولو تنصر فيها الأعصمُ الصَّدَعُ

وقد استعان الصليبيون بنصارى جبل لبنان في حروبهم الدينية لتملك بيت المقدس ولم يكن الموارنة طائفةً مستقلةً عن السريان قبل ان تعين البار يوحنا مارون بطريركًا عليهم بدليل ما ذكرهُ جبرائيل بن القلاعي على ما اثبتهُ البطريرك اسطفان الدويهي في تاريخهِ المطبوع حديثًا. واذا اعتبرت بما كان عليهِ اهل الجبل من العصبية وما كان بين رؤسآء قبائلهم من الغيرة والمنافسة فضلاً عما كان بينهم وبين اهل المدن من العداوة لاختلاف المنازع وتباين الاهوآء مع سهولة حدوث الفتن وكثرة الاحن تبيَّنت ان الموارنة قومٌ اشدّآء ذوو بأسٍ ونجدة وأنفة

واذا نظرت الى خصائص التكوين في هذه الطائفة تبينت اختلافًا في هيئة القحف والوجه يُستدَلّ بهِ على مرتبتها بين الاجيال البشرية ونسبتها الى غيرها من الطوائف . فالقحف اقرب الى الشكل المستدير الذي هو من خصائص الفصيلة الساميّة ولا سيما جيل العرب فهو ليس بيضيًّا كقحوف الاوربيين ولا مفلطحًا كقحوف المغول على انهُ اكثر تحدبًا في جهة الجداريين. والجبهة عريضة مائلة الى الامام الا انها غير بارزة كثيرًا كجباه الاوربيين ولا مسطحة مائلة الى الورآء كجباه المغول والزنج . والبروز الوجهيُّ غير شاخصٍ كثيرًا فالزاوية الوجهية يمكن تعيينها بين ٧٠° و٧٥° فهي فيهم اقرب الى الاوربيين وذلك دليلٌ على كبر حجم الدماغ وقبولهِ للنشوء والنمآء لدى توفر اسباب العلم والتهذيب . والوقبان كبيران متآزيا الوضع والوجنتان غير شاخصتين وعظم الانف مستقيم الوضع كلُّ ذلك دليل على تناسب الهيئة وحسن التكوين . واذا نظرت الى سحنات ابنآء هذه الطائفة وجدت ثم من المحاسن ما يميزهم عن كثيرٍ من الاجيال فهم في الغالب حسان الوجوه تبدو على ملامحهم امائر الذكآء والنجابة وشعرهم سبط فاحم طويل وعيونهم نجلٌ سود او شهلٌ طويلة الهدب وسنى الاجفان لا خَوَص فيها ولا خَزَر وانوفهم مستقيمة الارنبة لا فَطَس فيها ولا خَنَس وشفاههم رقيقة غير غليظة ولا هدلآء واسنانهم صلبة متناسقة ناصعة البياض وقدودهم في الغالب ربعة وابدانهم عضلية قوية البنية والغالب على لونهم البياض المشوب بالحمرة على انهُ قد يسمرُّ من طول التعرض لاشعة الشمس . وكلما تقدمت الى الشمال وجدت لونهم اكثر اشراقًا وسِمات الجمال اكثر وضوحًا ورأيت النسآء أبعد عن الحضريات واقرب الى البدويات من حيث شظف المعيشة وبساطة الزي وعدم التبرج وقد اصاب ابو الطيب حيث قال

حسن الحضارة مجلوبٌ بتطريةٍ وفي البداوة حسنٌ غير مجلوبِ

وقد تحدى سكان المدن من الموارنة عوائد الافرنج وازياءهم اما القرويون فلم يزالوا على ما كان آباؤهم يألفون من المسكن والمطعم والملبس وما درجوا عليهِ في مجالسهم وافراحهم وولائمهم ومآتمهم الاَّ ما كان منها مخالفًا للتهذيب او بعيدًا عن الذوق السليم لان رؤساءهم الروحيين اجتهدوا كثيرًا بتهذيب عوائدهم وحثهم على ترك ما يمجّهُ الذوق منها كالتزين بالطرطور وكانت النساء يتنافسن بهِ فحرَّم الكهنة لبسهُ بعد حادثة ١٨٤١ و ١٨٤٥ . ولقد



بالغ الباحثون من الافرنج في استغرابهِ واستهجانهِ وزعم اكثرهم ان استعمالهُ كان مألوفًا عند العبرانيين منذ خروجهم من مصر وانهُ هو القرن الذي ورد ذكرهُ في التوراة والزبور على انهُ ليس باكثر غرابةً من القبّعات التي صُنعت في هذه الايام رياضًا تنبت فيها الازهار وتتغنى على افنانها الاطيار وما هو الا اداة من ادوات الزينة كانت توضع على الرأس لابعاد النقاب عن الوجه وكان في بدء

امرهِ قصيرًا بسيطًا يصنع من الآنُك الّا ان التنافس في الزيّ جعلهنّ يتأنقنَ فيهِ فابدلنهُ باسطوانة من الفضة منقوشةٍ او من الذهب قد يبلغ طولها ١٨ قيراطًا يوضع النقاب عليها كما ترى في الشكل

ومما امتاز بهِ الموارنة في هذه الايام انصبابهم على طلب العلم واجتهادهم في تحصيلهِ فلا تكاد ترى فيهم الآن من لا يحسن القرآءة والكتابة وكانوا قبل منتصف هذا القرن أُمّيين الّا نفرًا قليلاً من رجال الدين . وقد أنشأ بعض بطاركتهم مدرسة عين ورقة لتهذيب الكهنة وتعليمهم العلوم الدينية فنبغ فيها رجالٌ اشتهروا بالفضل ثم كثر بنآء المدارس في جبل لبنان وبيروت وازداد عدد الطلبة وازهر نبراس العلوم بينهم ونبغ فيهم من العلمآء والادبآء والخطبآء والمؤلفين والكتبة رجال يُستغنَى عن ذكرهم بما لهم من الشهرة

والموارنة اشدُّ الطوائف الكاثوليكية استمساكًا بتعليم الكنيسة الرومانية واكثر الطوائف النصرانية حرصاً على حفظ العقائد الدينية من حيث الايمان والتسليم المطلق بصحة ما يعتقد بهِ احبارهم وكهنتهم ورهبانهم والاذعان لما يأمرون بهِ وينهون عنهُ وهم ليسوا بالعدد القليل وتبلغ اوقاف اديارهم نحو ثُلث املاك العوامّ . ولبطريركهم سلطة ادبية ما عدا السلطة الروحية ويلقب بالبطريرك الانطاكي وكرسيُّهُ دير قنّوبين وهو ديرٌ قديم بناهُ القيصر ثاودوسيوس الكبير منذ اكثر من الف وخمس مئة سنة على نشزٍ في سفح جبل يشرف على وادٍ جميل تتفجر في مناكبهِ عيون المآء فتجري في عقيقهِ كاللُجين الذائب وتنبت في جوانبهِ الرياض الناضرة والرياحين العطرة . اما موقع الدير فمتوسط بين عقيق الوادي وقمة الجبل اسفلهُ غارٌ واسعٌ بُنيت عليهِ الكنيسة والصوامع والمناسك التي كان الرهبان يتوحدون فيها . وارز لبنان الشهير لا يبعد كثيرًا عن دير

قنوبين وهو غابةٌ غبيآءُ يقصدها السيّاح من اقاصي الارض لمشاهدة اشجارها الباقية على رغم الدهر اثرًا حيًّا ذُكر في اقدم الكتب المنزلة. وقد وُجدت قطعة منهُ في انقاض نينوى حُفظت في دار التحف البريطانية وثبت بالتحليل المجهري انها من ارز لبنان وهي تُرَدُّ الى ثلاثة آلاف سنة فما فوق. ومن نظر فيما كُتب في التوراة عن الارز لم يسعهُ ان ينكر امتداد غاباتهِ في هذا الجبل وما بقي منهُ الآن ليس الاّ اثرًا بعد عين للدلالة على عظمة لبنان ومجدهِ

مقالة في التربية

لحضرة الكاتب الفاضل عبد الله افندي المراش نزيل مرسيليا

(تابع لما قبل)

ومن جملة تلك المزاعم ايضاً اعتقاد كثيرٍ من الناس انهُ يجب كفّ الولد عن ان يتناول من الاطعمة الحلوة شيئاً زائدًا على المقدار الذي قضت أُمُّهُ او حاضنتهُ بانهُ كافٍ لهُ وهذا سببهُ توهم بعض الناس ان ميل الاولاد الى الاشيآء الحلوة محض نَهَمٍ وشرهٍ وقد رسخ هذا الوهم في الاذهان من قديم الزمان والحقيقة خلافهُ. وذلك ان طبيعة الصغار وهي في هذه القضية ايضاً صادقة الدلالة على ما يلائمهم تدفعهم الى تطلب الحلاوات لان الموادّ الحلوة افضل الاشيآء بعد اللحم والمآكل الدسمة توليدًا للحرارة الغريزية في الابدان وذلك لانها تستحيل بفعل الكبد الى عنصرٍ مولّدٍ للحرارة يخلف على الجسم ما يتلف من حرارتهِ بالتشعع فهي اذاً ضرورية للصحة مثل اللحم الاّ ان الاولاد لاسباب يطول شرحها لا يحبون اللحم كثيرًا فلم يبقَ لتوليد الحرارة في ابدانهم شيء اصلح من الاطعمة

التي يدخل في تركيبها السكّر او غيرهُ من الموادّ الحلوة كالعسل والدبس والصقر ولهذه العلّة صارت طبيعتهم تستدعيها وصاروا هم يحبّونها حبًّا غريزيًّا فمنعهم عنها متى ارادوها ظلمٌ فاحش لانهُ بمنزلة حرمانهم ما هو ضروري لصحتهم ونموّهم

وما قيل عن الحلاوات يُقال ايضاً عن الفواكه فانهم يحبونها لا لما فيها من عنصر الحلاوة فقط بل لما فيها ايضاً من عنصر الحموضة مختلطاً بتلك الحلاوة والاطبآء كلهم يقولون لك ان الحامض يقوّي الجسم ولذا تستدعيهِ الطبيعة فيجب اذاً ان نطعم الاولاد مع الطعام شيئاً من يانع الثمار والاّ اكلوا كل ما تقع عليهِ ايديهم منها فجًّا كان او يانعاً وفي غير اوقات الطعام

وكذلك يجب ان نجتنب شدّة التنوّق في مآكلهم والشطط في ابازيرها وتوابلها ونحرص على ان يكون طعامهم وافي الكمّية يملأ جوفهم دون حدّ الكِظّة وان يكون مركبًا من مواد جيدة التغذية وسهلة الانهضام كاللحم الغريض والسمك والبيض واللبن وبعض البقول والقطاني لان ذلك اعوَن لابدانهم على النموّ وان نخالف لهم بين الوانهِ كل يوم بل في كل وجبةٍ منهُ ليكون امرأ في ذوقهم وادعى لهم الى تناولهِ بشهوةٍ فيصير لهذه العلة اسهل انهضاماً

ويحسن ان تكون اوقات طعامهم معيّنةً ليُحفظ بذلك حسن النظام في البيت والكتّاب والمدرسة ولكن من غير تشدّدٍ في هذا الامر الى حدّ منعهم عن تناول شيء يسير من الطعام اذا جاعوا وطلبوهُ في غير تلك الاوقات كما انهُ لا ينبغي ان نُكرِههم على الاكل اذا لم يكن بهم جوعٌ ولا على اكل ما لا يحبُّونهُ من الالوان . اما الولد الذي لم يتكامل طلوع اسنانهِ لمضغ اللحم ولم تقوَ معدتهُ بعدُ على هضم اجزآئهِ الصلبة فيجب ان يكون ما نغذوهُ بهِ منهُ قليلاً ومطبوخاً طبخاً مستوفي الشروط حتى يغتذي بجوهرهِ اسيء بعصارتهِ او مرقهِ

دون الثُقل

هذا ما كان من امر الاطعمة اما الاشربة فأسوَغها وخيرها للاولاد المآء القراح الزلال يُسقَونَهُ كلما عطشوا وطلبوا الشرب اللهمَّ الّا اذا كان عطشهم على اثر اللغوب اي التعب المفرط لانهُ يكون حينئذٍ عطشاً كاذباً واذا صبروا عليهِ هنيهةً زال

فصــل
في الكسوة

وخطأ بعض الوالدين في امر كسوة الاولاد كخطاهم في امر غذآئهم وذلك انهم يجعلونها في كثيرٍ من الاحوال غير كافية لوقاية ابدانهم من مسّ الحرّ والبرد

وخير الثياب لهم ما كان من صوفٍ صفيق النسج قاتم اللون لان الثياب التي هذه صفتها احفظ لحرارة البدن الغريزية وابقى على الدعك والتعفر واقلّ تعرّضاً للتحرّق وغير ذلك من الآفات التي تعرض لثياب الاولاد على اثر لعبهم ورياضتهم . ويجب ايضاً ان لا تكون واسعة جدًّا بحيث يتعثرون باذيالهم ويرتبكون باكمامهم ولا ضيقةً كالقُمُط بحيث تعوقهم عن الحركة واللعب كما يهوون. ولا بأس ان يكون الشعار حريرًا والدثار وحدهُ من الصوف لان الحرير كالصوف في حفظ حرارة البدن لكنهُ أَلين منهُ مسًّا وانعم فهو لذلك اكثر ملآءمةً لجلودهم البضّة

ومن جملة العادات السمجة حرص الامهات على ان تكون ثياب اولادهنَّ رقيقة النسج صافية اللون مفصّلةً بحسب الزيّ الذي يتفق ان يكون عند تفصيلها هو الزيّ الدارج وان كان رديًّا وذلك لزعمهنَّ ان الثياب التي هذه صفتها

تروق النظر وتزيد الولد حسناً وان كانت مضرّةً بصحتهِ. فمن ايسر مضارّها ان الولد اذا دفعت بهِ طبيعتهُ الى المرح واللعب والقفز بل التمرّغ في التراب ايضاً صاحت بهِ امهُ او ظئرهُ او خادمتهُ أن كفّ حتى لا يتّسخ جوربهُ او يتخرّق قفطانهُ وهكذا تصدّهُ عن رياضةٍ ضروريةٍ لنموّهِ وتعرّضهُ للقصع وغيرهِ من الآفات استبقاءً على ثيابهِ. وثمَّ في بلاد الافرنج عادةٌ اخرى سمجة وقد سرت الى بلادنا واحتذاها نفرٌ من الذين يحبّون محاكاة الافرنج في كل عاداتهم وهي تعرية ساقي الولد وذراعيهِ وعضديهِ احياناً بحجة ان تعريض هذه الاعضاء للهواء يقوّيها وهذه حجةٌ واهيةٌ باقرار علمائهم انفسهم ومن ايسر مضارّها ان الولد اذا سقط اثناء لعبهِ او رياضتهِ على موضعٍ خشنٍ من الارض انسحجت بشرتهُ لتعرّيها مما يقيها

امّا الاحذية فأحسنها للاولاد ما كانت نعالها من السختيان الثخين ودروزها محكمة الالصاق حتى لا تنفذها الرطوبة ويجب ان لا تكون من السعة بحيث تقلق فيها اقدامهم ولا من الضيق بحيث تضغط الاقدام وتعصرها من شدة الحزق وفي كلا الامرين تعويق لهم عن الجري واللعب . ويجب في الجملة ان نراعي قوانين الصحة في امر كسوتهم كما نراعيها في امر كسوتنا لانهم مثلنا في الشعور بلفح الحرّ وقرس البرد وان نحرص على صدّهم عن الانتقال فجأةً من موضعٍ حارٍ الى موضعٍ باردٍ وهم عراةٌ او يكادون وعن المشي حفاةً كما جرت بهِ عادتهم لان اكثر امراضهم سببها تعريض مسامّهم للبرد وهم عراةٌ واقدامهم للرطوبة وهم حفاةٌ

فصل
في السكنى

قال واحدٌ من مشاهير الاطباء اول شروط العافية الهواء الجيّد النقي

وقال آخر اعطني مآءً زلالاً وهوآءً جيّدًا نقيًّا فانهما يغنياني عن سائر الأدوية في معالجة الاسقام

نعم ليس بالهوآء وحدهُ يحيا الانسان لكن الهوآء الجيّد النقي اعظم معينٍ لهُ على الحياة لانهُ يولّد فيهِ دمًا جيّدًا يسهّل هضم الطعام ويقوت اعضآء الجسم ويقوّيها . فينبغي ان يحرص الوالدون والمربّون على تعهّد الحجرة التي ينام فيها الاولاد ويُربَّون وان يفتحوا كواها مرّةً كل يوم على الاقلّ ليتجدد هوآؤها الساكن وتنفذها اشعّة الشمس وان يُعنَوا ايضًا بتنظيفها وتعديل درجة الحرارة فيها وتقدير اتّساعها على نسبة عدد الاولاد المقيمين بها

اما الكتاتيب والمدارس فيحسن ان تكون في ضواحي المدن لا في وسطها وأحسن من ذلك ان تكون في الارياف والامكنة النزيهة البعيدة عن غَمَق المياه وابخرة المستنقعات وما يترتب على ذلك من فساد الهوآء وان يكون لها ساحات وافنيةٌ رحبة او جنائن متسعة ليسهل على الاولاد ان يلعبوا فيها عدوًا وقفزًا وهلمَّ جرًّا   ستأتي البقية

الدرة اليتيمة

حضرة الافاضل أصحاب مجلة البيان

اطلعت على الجزء الثالث من مجلتكم الغرآء فاذا فيهِ بحث عن الرسالة المسماة بالدرة اليتيمة تأليف عبد الله بن المقفع المطبوعة حديثًا في بيروت مصححةً بقلم هذا العاجز فتتبّعت هذا البحث لعلّي اجد فيهِ شيئًا يتعلق بعنآئي في طبع هذه الرسالة وتصحيحها كما رأيت في سائر الجرائد العربية وكما يحب الانسان ان يرى صنيعهُ مقدورًا قدرهُ وتعبهُ موفيًّا أجرُه فلم اسقط هناك الا على انتقادٍ

طويل عريض اكتُفي فيهِ من تقريظي بمجرد السكوت عني ووجد اعظم مساعدةٍ لي عدم التعرّض لذكري كانما قضت بهذا الاغضاَء حقوق الصداقة وان كانت هذه الحقوق لم تبلغ حد التجاوز التام عن كشف الحقائق العلمية اذ لم يكن لعالم ان يتخذ على العلم صديقًا وما كنت وايم الله لاجهل مقدار هاتيك النعمة واغمط ذلك الجميل لو كان اغفال اسمي مما يغنيني شيئًا عند القرآء او يعمّي على الناس كوني انا مصحح تلك الرسالة وناشرها على عهدتي ولكن حيث كانت مصححة بهذا القلم القاصر كما هو مبين في صدرها كان الانتقاد على ما قيل انهُ فرط فيها من السقطات موجهًا اليَّ واصبحت تبعة هذه الاحوال السيئة في الرسالة مع مرورها عليَّ اثناَء التصحيح عائدة عليَّ وقد حدَّقت في هذا الانتقاد لعلي اقف على عذرٍ تحبون ان تؤَوّلوا بهِ وقوع هاتيك الفرطات على يديَّ كأن يقال انني احببت المحافظة على الاصل مثلاً او اخترت الوقوف عند حدّي دون التصرّف بكلام مثل هذا الكاتب النبيه فوجدت العذر كلهُ عبارة عن عدم التصريح باسمي وهو مفهوم ولو لم يصرّح بهِ البيان فاصبحت انا المسؤول وحدي عن تلك الغلطات وحقَّ عليَّ هذا الجهل المفرط في اللغة

وكنت اخضع لحكم البيان لأني والحمد لله ممن لا يدعون العصمة وممن يتباهون بمعرفة قصورهم وممن يعتقدون انهُ لا يوجد كتاب سالم من الخطأ ولا يتنزّه كاتب ولا مؤلّف عن السقوط وممن يقولون

ومن ظنَّ ممن يلاقي الحروب ان لا يصاب فقد ظنَّ عجزا

لولا ان آراَء البيان لم تجئ موافقةً لوجهة آرائي فلم أرَ موجبًا لقبول ذلك الحكم بدون اعتراض ولا استئناف ولا اعادة محاكمة فاحببت ان ابين لحضرتكم وجهي واشرح لكم برأيي معتقدًا انهُ لما كان جلّ قصدكم فائدة النقد واستخراج بريق الحقائق من احتكاك الآراء لم يكن الاخذ والرد في هذا المقام مما يكدر صفاَء الودّ الذي بيننا فاقول

قابلتم في الاول بين كتاب كليلة ودمنة ورسالة الدرة اليتيمة فذهبتم الى ان عبارة ابن المقفع في كليلة ودمنة اخلص الفاظاً وأنق ديباجةً وانصع الواناً وأشدّ انسجاماً مما هي في الدرّة التي كثير من كلامهِ فيها غير خالص من التعقيد صعب الاستخراج غير نضيج الخ. وان السبب في هذا التباين مع كون النسج في الكتابين واحداً هو تداول الايدي لكليلة ودمنة دون الدرة فكان مثلهُ برأيكم مثل الدينار الذي كثر التعامل بهِ حتى ازالت الايدي خُرشتهُ وعاد املس ناعماً قلتم وذلك ان كليلة ودمنة رُزق من الشهرة ما لم يرزقهُ كتاب في بابهِ وكثرت بهِ عناية العلماء والادباء فما منهم الاّ من انتسخهُ او استنسخهُ فكان الناسخ من اهل الذوق والبصر بالانشاء اذا رأى فيهِ منقفاً ازالهُ او اودًا اقامهُ فلم يغادروا فيهِ عبارة نافرة ولا لفظة قلقة ولا تركيباً ثقيلاً بحيث انهُ على تمادي الزمن تمّ تهذيبهُ وتنقيحهُ قلتم والذي يدلك على صحة هذا القول انك تكاد لا تجد نسختين تتواطآن منهُ على لفظ واحد حتى ان دساسي كان بين يديهِ سبع نسخ كل واحدة مباينة للأخرى وان هذا مما يدلّ على فضل الكتاب ولا يغض من قدر معرّبهِ شيئاً اذ الكلام لا يزال كلامهُ والاسلوب اسلوبهُ

فهنا اجد في رأيي بعض الاختلاف عن رأيكم اما من جهة شهرة كليلة ودمنة وارتياح العلماء والعظماء اليهِ فمما لا يختلف فيهِ اثنان واما اتمام تنقيحهِ وتهذيبهِ بكثرة انتساخهِ واستنساخهِ على ايدي اهل البصر بهذه الصناعة حتى ازالوا منهُ كل المناقف وان دليل ذلك عدم تواطؤ نسختين منهُ على لفظ واحد فلا نخالف فيهِ ايضاً ولكن كون ذلك لا يغض من قدر المعرّب اذ الكلام لا يزال كلامهُ ففيهِ نظر لأن الكتاب الذي تتعاورهُ الاقلام بالتبديل والتنقيح الى حد ان لا تتفق منهُ نسختان على لفظٍ لجدير بان لا يبقى نسج صاحبهِ وان لا تصحّ نسبتهُ اليهِ ولا ندري كيف يعرف مقدار علم المؤلف ان كان العلماء لا يتركون لهُ غلطةً حتى يصلحوها ولا موضع ركاكةٍ حتى يسدّدوهُ نعم ان

الكتاب في حدّ ذاتهِ يكتسب رونقًا ونقآءً لكن يصحّ ان يقال فيهِ حينئذٍ انهُ قد شورك في تأليفهِ واجتمعت القرائح على تنقيحهِ فيفقد من خلوص نسبتهِ لصاحبهِ وتجهل حقيقة امرهِ وربما بقيت المسحة العامة ظاهرة عليهِ وكان الاسلوب غير متنكّر لكن لا يعرف في الحقيقة مبلغ تدقيق المؤلف والامانة تقضي بابقآء الشيء على اصلهِ والاكتفآء من التصحيح بالضروري المخالف للقواعد المردود بالبداهة ضنًّا بمقام المصنفين دون التلاعب بتصانيفهم والتداول بالحذف والتبديل وتحريف الكلم عن مواضعهِ واختيار جملةٍ على اخرى ونسخ عبارة للاتيان باحسن منها فكل ذلك مخالف للامانة بارز عن ظل العدالة لأنهُ كما لا يجوز ان يُبخس احد حقهُ فلا يجب ان يُنحَل احد فضل سواهُ ولا ينبغي ان يفهم من هذا وجوب ابقآء الغلط في كتب السلف مزلّةً لمن اقتدى بهم كلاَّ بل هنالك فرق عظيم بين تصحيح غلطٍ فاضح وتقويم أوَدٍ واضح و بين العدول في كل مكان عما هو حسن الى ما هو احسن وما هو فصيح الى ما هو افصح واجازة التصرف بثمرات عقول القوم واوضاع قرائحهم كيف عنَّ للبال وخطر في الذهن بل قد رأينا الكثيرين من اهل العلم ونفاذ البصر تمحّضًا في الامانة ينسخون الكتب القديمة او يطبعونها غير متعرّضين لتبديل ولا لتعديل بل ربما مروا بالهفوة او محل النظر فاشاروا اليهِ بانهُ ورد (كذا) وهم غير عاجزين عن اصلاحهِ وكثيرًا ما يرد في الكتب بياض في الاصل فيبقونهُ على كيانهِ مع امكان اللحمة احيانًا بين الجملتين وما السبب فيهِ الا توقيرهم لآثار الاولين وتنزيهها عن مد الايدي اليها بما يخطر للحاضرين وقد اطلعنا على جملة من الكتب المطبوعة في اوربا ومصر تذكر الروايات المختلفة وتدقق في ايرادها جميعًا على وجوهها مع ان الفرق الذي يكون بينها يسيرٌ ذلك محافظةً على الوارد كما ورد وهم في هذا اشبه بمن يعثر على اثرٍ عاديّ قديم ولو كان فيه بعض التهشيم فيبقيهِ على حالهِ محافظةً على قدمتهِ وضنًّا بتاريخهِ عن الشبهة والكتب القديمة مثل الآثار

القديمة ان اعتورتها الانامل بالتغير والتزيين فقدت قيمتها التاريخية وربما ادخلت لغة محدثة في لغة قديمة بواسطة هذا التصرّف فضلاً عنا ما كنا نريد تحقيقهُ ولم تكن في ذلك خدمة لتاريخ الادب ثم ان تشبيه البيان تداول الايدي لكتاب كليلة ودمنة وخروجهُ بعد ذلك تام التهذيب بالدينار الذي صيرتهُ كثرة التعامل بهِ املس ناعماً لا نظنهُ ينطبق على المقصود لان المراد ان الكتاب انما ازداد بذلك جمالاً وغلا قيمةً والدينار الاملس الناعم ينقص من قيمتهِ بقدر نعومتهِ وترفضهُ جهابذة الصيارف وفي العربيّ والبيان سيد العارفين يقولون دراهم حُرْش اي جياد خُشُن فالاحسن بالدينار ان يكون احرش من ان يكون املس

واما كون ما جآء في الدرّة من السقم والاضطراب انما ورد من قبل النساخ فلا ادافع عن ذلك لأن التحريف للنسخ نسيب وخليل ولكن لما كان لا يدرى بالتمام ما هو الصادر عن النسّاخ مما هو عن المؤلف الذي هو نفسهُ ايضاً ليس بمعصوم كان لا يجوز للانسان التسرُّع في الحكم وبناءً على هذا اكتفيت من اصلاح الخطأ بالقدر الذي ظهرت الرسالة فيهِ والله وحدهُ يعلم مكان الاصل على انني اعتقد ان كلام ابن المقفع في الدرّة لا يمكن ان يكون نظير كلامهِ في كليلة ودمنة سهولةً وانسجاماً اذ شتان بين المقامين والكلام في القصص والحكايات والامثال غير الكلام في مثل موضوع الدرة من الانشآء المحض

ثم انتقلتم الى ذكر الغلطات التي جوزتم امكان صدور بعضها عن الطبع فقلتم ان « المنتحل في آرآئهم » من قولهِ « ان الذي تجد في كتبهم هو المنتخل في آرآئهم والمنتقى من احاديثهم » يجب ان يكون المنتخل بالخآء المعجمة وكنا نظن ان مثل هذا مما لا ينبغي التنبيه على كونهِ غلط طبع فانهُ مهما كان المصحح من الجهل باللغة فلا يغيب عنهُ كون تلك اللفظة بالخآء المعجمة لا بالحآء المهملة خصوصاً مع وجود المنتقى بازآئها واما تبديل لفظ « في » بلفظ « من » فلا نراهُ

ضروريًا ما لم يقم دليل على ضرورته

ثم اعترضتم على قوله «في تحرير صنوف العلم وتقسيم اقسامه وتجزئة اجزآئها وتوضيح سبلها وتبيين مآخذهم» من ان هذه المخالفة في صيغ الضمائر لا وجه لها بل منها ما يفسد المعنى والوجه ايرادها جميعاً بلفظ التذكير والافراد عودًا على العلم فهنا ايضاً لنا جواب وفي طيّ الجواب اعتراض وذلك اننا كما قلنا لم نلتزم اعلاء طبقة انشاء ابن المقفع وهو كما قال رئيس البلاغة وامير الكلام ولكننا اجتهدنا ان لا يقع في كلامه ما هو خلاف القواعد العربية وليس في هذه الجملة شيء مخالف للقواعد لأن لكل ضميرٍ مرجعاً يعود اليه معروفاً بالقرينة وحيث لم يكن ثمة خطأ لم تبقَ حاجة الى ابدال (مآخذهم) بمآخذها وابدالها كذلك ليس بمجز ولا هو من الاسرار التي لا يدركها الا الخاصة نعم لو قيل مآخذها لكان اولى واحسن في النسق ولكن كما قلت نقلت كما رأيت ولم اذهب في التصحيح وراء اصلاح الخطأ الصريح اما اعتراضي على الاعتراض فيما يقتضيه قولكم من وجوب التزام المفرد والمذكر في الضمائر المذكورة من ان تصبح العبارة «وتقسيم اقسامه وتجزئة اجزآئه» فلا نفهم حينئذٍ ما هو وجه التكرار بالمعنى الواحد حال كوننا نظن ان مقصد المؤلف قسمة العلم الى اقسام وكل من اقسامه الى اجزآء فعاد ضمير اقسام الى العلم وضمير اجزآء الى اقسام ليكون في كلامه شيء من التنويع والله اعلم

ثم ذكرتم عند قوله «من العجب ان يُبتلى الرجل بالامارة فيريد ان ينتقص من ساعات نصبه وعمله فيزيدها في ساعات دعته وشهوته» ان قوله من العجب لا معنى لهُ ولا مما فيه عجب لان اكثر الناس على هذا السبيل وان الاظهر ان تكون من العجز بمعنى ضد الحزم الخ والذي يلوح لنا خلاف ما رأيتموهُ فالمؤلف يتعجب من كون بعض الناس يُبتلى بالامارة فيحاول ان يتلاهى عن عملها وينتقص من ساعات نصبها ليزيدها في ساعات دعته حال كون الامارة

ظرفًا لا يسع غيرها هذا بدليل ما جآء بعدُ من قولهِ « وانما الرأي لهُ والحق عليهِ ان يأخذ لعملهِ من جميع شغلهِ فيأخذ من طعامهِ وشرابهِ ونومهِ وحديثهِ ولهوهِ » وكلهُ يفيد ان عليهِ تقديم عملهِ ان ابتُلي بالامارة على كل عمل والاخذ لها من كل شغل فكيف لا يكون الاخذ منها لغيرها داعيًا للعجب ولم يظهر لنا الى الآن لماذا لا يوجد محل للتعجب في هذه الجملة

ثم ورد في صفحة ١٣ « لئلا ينتشر من ذلك ما يجترئ بهِ سفيه او يستخف لهُ شأن » فقلتم لا معنى للشأن هنا والصواب « شانئ » فهب ان الشانئ هنا اسدّ من الشأن فهل يكون الشأن غلطًا و « يستخفّ » مبنيٌّ للمجهول خصوصًا اذا تمعّن القارئ فيما يريدهُ القائل من عدم تسهيل العذل الا لاهل السن والعقل حفظًا للهيبة والوقار

اما اعتراض « شُغلت » المتعلق كلهُ بتلك الضمة فما كان اولى البيان بتركهِ حملاً لهذه الضمة على سقطة طبع من مرتب الحروف وقياسًا لها على هفوات أُخر وقعت بالطبع ايضًا والنسخة الاصلية هي عندنا تشير الى حقيقة ما نقول

واما تصحيح قولهِ « لا يلومنَّ الوالي على الزلة من ليس بمتهم على الحرص على رضاه » بان الصواب استبدال لفظ « على » بلفظ « في » فلا نظنهُ بهذه الدرجة من اللزوم ومع قلّة بضاعتي في اللغة اظن هذا الاستعمال واردًا وفي لسان العرب يقول « وأوهمهُ ادخل عليهِ التهمة اي ما يتهم عليهِ » وكان يمكنهُ ان يقول ما يتهم فيهِ

كذلك اصلاح « لا يعرفنّك الولاة بالهوى في بلدة من البلدان » بكون الاولى ان يقال بلد من البلدان فكان الاولى ان يظن انهُ سهو من الناسخ الاصليّ لم يجد المصحح ضرورةً داعيةً لتغييرهِ لعدم اخلالهِ بالمعنى لا سيما وانهُ يقول في صفحة ٢٥ من الرسالة « اما عن بلد من البلدان او ضرب من ضروب العلم » فانت ترى ان الخطب يسير فضلاً عن ان معرفة كون بلدة تجمع على

بلاد لا على بلدان ليست من صعاب المسائل وبعد ذلك فياترى لو قلنا في مدينةٍ من البلدان فضلاً عن بلدة حال كون الجمع من غير لفظ المفرد فهل يكون ذلك غلطاً

واما ما ورد عند قولهِ «لا تحضرن عند الوالي كلاماً لا يعني ولا يؤمر بحضورهِ الا لعنايةٍ بهِ او يكون جواباً بالشيء سئلت عنهُ» من ان الكلام فيهِ اضطراب الخ فلم نعلم كيف اصلهُ كما قلتم ولذلك ابقيناهُ على حالهِ اجتناباً للتصرف بكتاب الرجل بما ربما لم يكن هو المطابق للاصل واما عدم جواز «جواباً بالشيء» فلم نفهم سببهُ والذي يبقى في ذهني مما تعلمتهُ في المدرسة وان كان طال العهد بهِ وحالت الاشغال دون هذه المطالعات ان الباء تقع موقع عن فان قيل جواباً عن الشيء (كذا) لم يكن عليهِ غبار كما قيل فسَلْ بهِ خبيرًا

ولا تسألوني بالنسآء فانني خبيرٌ باحوال النسآء طبيبُ

اما اعتراضكم على قولهِ «اذا قال لك السائل ما اياك سألت او قال لك المسؤول عند المسألة يعاد لهُ بها دونك» فسبحان من جل عن السهو نظن انكم سهوتم عن تتمة الجملة فاشكل عليكم وهي قولهُ «فأجب» ورآء كلمة «دونك» فهي مقول القول الثاني ومع الانتباه اليها لا يبقى محل للاعتراض

واما «يستزلهُ» في النسخة عندنا «يستنزلهُ» كما ظننتم ولو لم تكن سقطة طبع لما تحملنا لها جواباً اذ يعلم الله اننا لا نقصد المغالطة وانما جل قصدنا اننا لم ندع في الرسالة ما يقال لهُ في العربية غلط فاما تركنا بعض الجمل التي كان يمكن تنميقها على الوجه الفلاني فلسنا باوصيآء على ابن المقفع لنصلح لهُ كتبهُ من هذه الجهة خصوصاً وانهُ لا يوجد مؤلف مهما علا كعبهُ الا وتجد في عباراتهِ ما يمكن تبديلهُ باسدّ منهُ فهل نغير على كتب السلف ونمحو ونثبت ونبدّل كما شئنا بدعوى ان هذا لا يليق بمقام المؤلف وهذا لا يُتصوَّر صدورهُ عن قلم الكاتب ولا نكتم العجب من كونكم من جهةٍ تقولون ان كثرة التبديل في كتاب كليلة

ودمنة صيرتهُ الى ان النسخة الواحدة منهُ لا تطابق الاخرى وان ذلك لا يغض من قدر معربهِ ومن جهة اخرى تقولون انهُ لو عاد السلف وعاينوا ما صارت اليهِ مصنفاتهم من صنوف الجدع والصلم لتمنوا انهم لم يجروا فيها قلماً فالتغيير سوآء كان الى اعلى او الى ادنى لا نحسبهُ جائزاً في كتب السلف واما كون « ذهاب الكتاب جملةً بداهيةٍ من نوازل القدر وضياع فضل مؤلفهِ وما يرجو ان يُبقي به من جميل الاثر لاهون على قلبهِ من ان يُنشر بعدهُ بين ايدي الناقدين » فنخال فيهِ مبالغة أفلا ترون ذهاب فائدة كتاب بجملتهِ بجريرة ضمة او كسرة مخالف للنسبة بين النفع والضرر وان النفع المترتب على كتاب برمتهِ اعظم من الضرر المتاتي من بعض هفوات يمكن للقارئ البصير اصلاحها بسهولة وانهُ ان كان كل عمل وقع فيهِ اقل نقص فالعدم اولى بهِ من الوجود لزم ابطال الاعمال باسرها اذ ليس منها ما يطمع طامع في كمالهِ نعم ان وجود ٩٠٠ غلطة في كتاب لا يتجاوز ٣٠٠ صفحة مما يوجب التحذُّر من مطالعتهِ ويدعو الى الاسف على حالتهِ لكن لا نعتقد ان طبعة درّتنا هي التي استحقت تلك المناحة المعقودة في آخر الانتقاد

شكيب ارسلان

قلنا انّا ليعزّ علينا ان نرى ما نشرناهُ من النقد على هذه الرسالة قد ساء اكرم صديق علينا واعظمهم حرمةً عندنا على حين لم يكن ما اوردناهُ من المآخذ موجهاً اليهِ ولا في اعتقادنا انهُ هو المطالَب بتَبِعة تلك الأغلاط وان أَلزَمها نفسهُ وحَسبُنا لإزالة عتبهِ أن نخرجهُ من تلك التبعة ثم نعود الى الكلام فيما استظهر بهِ للخروج منها من طريق الحُجَّة لا نتوخى في ذلك الا ما اشار اليهِ من «استخراج بريق الحقائق من احتكاك الآرآء » وفي مأمولنا ان لا يتمثل لهُ قولنا صادراً من جانب القلب ولا يبرز لهُ في غير لونهِ من الاخلاص ومعاذ الله ان يكون مثل هذا مما يصل الى مكان الذمة فيفسدها بل الذي نتيقنهُ أنّا واياهُ اعوانٌ في نصرة الحقيقة حيث كانت. شركآء في الذود عن حياض العلم

ولو بالأخذ لهُ من انفسنا لا تعترضنا في ذلك أَثرةٌ ولا يجذب أعنّتنا الميل مع الهوى

أمّا ما عرّض بهِ من امر تقريظهِ قياساً على ما رأى «في سائر الجرائد العربية» فنعيذهُ ان يكون ممن يعتدّ بما رأى من ذلك ويعتقد انهُ بمثلهِ «يرى صنيعهُ مقدورًا قدرَهُ وتعبهُ موفيًّا أجرَهُ» حالة كونهِ يعلم ما ألِفتهُ تلك الجرائد من هذه العادة في كل ما يُهدَى اليها حتى صار ذلك سُنَّةً لها معروفة وسبيلاً مطروقاً وصار كل من اهدى اليها كتاباً او قصيدةً لا يتوقع بعد ذلك الاّ أن يرى فيها عبارات الثنآء والاطرآء مما هو حريٌّ بأن لا يُستدَلّ منهُ على حقيقة مدحٍ ولا فضيلة احسان بل اذا اعتبرت هذا الصنيع حقّ اعتبارهِ وجدتهُ لا يخلو من اجحافٍ بحقوق العلم والعلمآء واضاعةٍ لكثيرٍ من اتعاب المجتهدين وفضائل المحققين اذ تستوي عندهُ الحسنة والسيئة ولا يظهر للراجح فضلٌ على المرجوح ولنا في هذا المعنى كلامٌ سنعود اليهِ في غير هذا الموضع

وبعدُ فلو كان هذا الكتاب من تأليف الامير أو من تأليف واحدٍ من ابنآء العصر استعان بديباجة الامير واسلوبهِ حتى خرج الكتاب على هذه الصيغة لكان في ذلك ما لا يجوز اغفالهُ بل كنا ولا ريب من اول المغالين بهِ ومن اسبق الناس الى تقريظهِ والإشادة بمحاسنهِ وقد رأى كل من وقف على كلامنا في هذا الكتاب أنّا لم نقصّر في تقريظ ابن المقفّع بما لم يبلغ اليهِ غيرنا ولا عرّف الكتاب وقدر مؤلفهِ تعريفنا ولكن قُصارَى ما ذكر الامير عن نفسهِ فيهِ انهُ صححهُ بقلمهِ وانت خبيرٌ بان التصحيح في مثل هذا لا يكاد يُفهَم منهُ الا تصحيح الطبع وتطبيقهُ على نسخة الاصل وليس هذا بالامر الذي ينبغي ان يُحرَص على ذكرهِ والتنويه بهِ ولا مما يُعَدّ اغفال اسم الامير فيهِ نقصاً في جنب ما لهُ من الفضل والشهرة في عالم الادب ولا سيما وإنّا شفعنا الكلام على هذا الكتاب بما علمت من المآخذ فخشينا ان صرّحنا باسم المصحح ان يتوهم من لا علم لهُ

بمجامل النقد ان كل تلك الأغلاط منسوبةٌ اليهِ وحينئذٍ نُضطرّ الى ان نلتمس لهُ الأعذار على نحو ما اشار اليهِ فتكون الاساءة في التصريح باسمهِ اعظم من الاحسان في الاعتذار عنهُ

على ان من راجع كلامنا هناك واطّلع على ما ذكرناهُ في المقابلة بين هذه الرسالة وكتاب كليلة ودمنة يرى صريحًا اننا نسبنا كل ما وقع فيهما من التبديل الى النسّاخ وما ذكرنا ذلك افتئاتًا على الناسخ ولا ميلاً الى جانب الامير ولكنهُ الواقع الذي لا لَبس فيهِ ولذلك لم يجرِ في خاطرنا قطّ ان يكون الامير هو المسؤول عن كل ما وقع من ذلك في نسخة الكتاب والمكلَّف ان يردّ كل عبارةٍ طرأ عليها تبديلٌ او تحريف او نقص الى ما كانت عليهِ وكيف لنا ان نفعل ذلك وما علمنا ان الامير أُوتي علم الغيب حتى يتكهن على هذه المواضع كما انهُ لم يخطر في وهمنا قط ان على مصحح الطبع ان يسدّد عبارة المؤلف ويقيم ما فيها من الأَوَد والاّ كان ذلك من جملة ما انكرناهُ ونددنا بهِ من التصرف في آثار المتقدمين اذ من فرض المتأخر ان يدع القديم على قِدَمهِ ولو كان ظاهر الزيغ وليس لهُ ان يتحكم فيهِ برأيهِ لجواز ان يبعد بالكلام عن اصلهِ ويطمس على الدليل الذي ربما يقود غيرهُ الى اصحّ مما ذهب اليهِ. وعليهِ فما توهمهُ الامير من ان «الانتقاد على ما فرط في هذه الرسالة من السقطات موجَّهٌ اليهِ وأن تبعة هذه الاحوال السيئة فيها عائدةٌ عليهِ» ليس في محلهِ ولا في كلامنا ما يشير اليهِ الاّ ان يقول ان تلك الاغلاط كلها من اغلاط الطبع التي هو مسؤولٌ عنها وان النسخة التي اخذ عنها بريئةٌ منها وهو خلاف ما صرّح بهِ في غير هذا الموضع وما دلّ عليهِ صنيعهُ في هذا الردّ مما سيتضح باجلى بيان

اذا فرغنا من ذلك فلننظر فيما اشار اليهِ الامير من «الاعتراض» على أحكام البيان «واعادة المحاكمة» فيما اخذناهُ على هذه الرسالة من مواضع

النقد . فأول ما اوردهُ من ذلك انكارهُ لما ذهبنا اليهِ من أن ما طرأ على كتاب كليلة ودمنة من التبديل لا يغضّ من قدر معرّبهِ . وهذا كما تراهُ خارجٌ عن الدعوى التي يريد « اعادة المحاكمة » فيها ولكن لا بأس من مجاراتهِ عليهِ ايضاحاً عن الحقيقة . فانهُ يقول ان الكتاب الذي تتعاورهُ الأقلام بالتبديل والتنقيح الى حدّ ان لا تتفق نسختان منهُ على لفظ لجديرٌ بان لا يبقى نسج صاحبهِ الى آخر ما ذكرهُ . ومقتضى هذا الاعتراض انهُ يفرض ان التبديل الذي اشرنا اليهِ قد عمّ كل عبارةٍ في الكتاب حتى صارت كل نسخةٍ منهُ غير الاخرى وهو من المحال كما لا يخفى والاّ لم تبقَ تلك النُسَخ نُسَخ كتابٍ واحد . وبعدُ فلا يذهب على الامير أن الكلام هنا في عبارة ابن المقفع وهو سيّد من كتب وأنشأ فلا يحتمل ان يكون في كلامهِ من موجبات التبديل والتنقيح ما اذا صُحّح يعدل بالكتاب عن صورتهِ حتى تتنكر ديباجتهُ جملةً ويصبح غير ما كان . أوَلا يرى الامير ان تبديل كلماتٍ أو عباراتٍ معدودة بين نسختين من كتابٍ واحد كافٍ لأن تصير بهِ النسختان غير متفقتين على لفظٍ واحد وان اتفقتا فيما بقي وهل يكون مثل ذلك قاضياً بان « لا يبقى الكتاب نسج صاحبهِ ولا تصح نسبتهُ اليهِ » والاّ فكيف « تبقى المسحة العامّة ظاهرةً عليهِ والاسلوب غير متنكر » كما قالهُ بعد ذلك

أما قولهُ « ولا ندري كيف يُعرَف مقدار علم المؤلف ان كان العلماء لا يتركون لهُ غلطةً (كذا) حتى يصلحوها ولا موضع ركاكةٍ حتى يسدّدوهُ » الى آخر الحجّة فهذا لا يمنع ان يكون ما ذكرناهُ عن هذا الكتاب واقعيًّا كما وصفناهُ والامير غير منكرٍ لهُ « ويصحّ ايضاً ان يقال حينئذٍ ان المؤلف قد شُورِكَ في تأليفهِ واجتمعت القرائح على تنقيحهِ » فان كل ما ذكرهُ في هذا المعنى لا يمتنع شيءٌ منهُ ولا جاء في كلامنا ما يخالفهُ ولكن الظاهر ان الامير اورد هذا كلهُ حتى ينتهي منهُ الى قولهِ « والامانة تقضي بابقاء الشيء على اصلهِ

والاكتفاء من التصحيح بالضروري » الى آخر ما قالهُ واطنب فيهِ وحاصلهُ انهُ ينكر صنيع الذين تعمدوا التبديل في عبارة كليلة ودمنة وانهُ لا يجيز لنفسهِ ان يفعل مثل ذلك في عبارة الدرة وهو ما لم يخالفهُ فيهِ احدٌ ولم يرد في كلامنا الماعٌ الى استحسان ما فعلوهُ وان ازداد الكتاب بذلك حسناً « واكتسب رونقاً ونقاء » ولم نتّهم الامير بانهُ فعل فعلهم ولا لمناهُ لانهُ لم يفعل ولا أجزنا التبديل في شيء من كتب السلف كما ترى كل عبارتنا ناطقةً بهِ وهو المعنى الذي يرجع اليهِ كلامنا هناك باسرهِ والذي جرَّ الى هذا البحث من اصلهِ فما ندري بعد ذلك ما المراد بهذا التطويل المكرر على غير حاجةٍ ولا فائدة

ثم انتقل هنا الى امرٍ آخر وهو تشبيهنا كتاب كليلة ودمنة بالدينار الذي كثر تداول الايدي لهُ حتى صار املس ناعماً فذهب الى انهُ لا ينطبق على المقصود لان المراد ان الكتاب انما ازداد بذلك جمالاً وغلا قيمةً والدينار الاملس ينقص من قيمتهِ الى آخرهِ . فبقي ان نعلم من اين استفاد ان مرادنا هناك الجمال والقيمة وهما ما لا ذكر لهُ في العبارة ولا مما يقتضيهِ سياق البحث لان الكلام انما كان في مجرَّد وصف عبارة الكتاب والمقابلة بين ما كانت عليهِ في اصل التأليف وما صارت اليهِ بعد تداول ايدي النساخ ولم نكن في شيء مما يترتب على ذلك من اللوازم الخارجية . وتُرَى لو جعلنا مكان الدينار في التشبيه مفتاحاً من الحديد قد كثر استعمالهُ حتى اخذت الايدي خُشنتهُ هل كان التشبيه في غير محلّهِ

وهنا تفرَّغ للدفاع عما انتقدناهُ من ألفاظ الدرّة وهو الامر الذي كنا نودّ لو وقف دونهُ ضِنًّا بمنزلتهِ في الادب واعفاءً لهُ من عنتٍ لم يكن يلزمهُ لما اشرنا اليهِ هناك من ان غالب تلك الغلطات مسبب عن النساخ فليس هو المطالب بهِ واذا قدَّرنا ان بعضها من غلط الطبع وانهُ سها عن تسديدهِ فليس ذلك بالمغمز الذي يعاب بهِ انسانٌ ولا يصعب التسليم بهِ على احد لان العصمة لله .

ولكن اذ قد فعل فلم يبقَ لنا مندوحةٌ عن الجواب لا نخرج فيهِ عن بيان الحقيقة ولا نعطي الكلام من المدى الاّ بمقدار ما ينجلي بهِ وجه الصواب

فمن ذلك مسئلة تبديل لفظ المنتخل بالمتحل وقد كان من جوابهِ عليها ان مثل هذا لا ينبغي التنبيه على كونهِ غلط طبعٍ وان المصحح مهما كان من الجهل باللغة لا يغيب عنهُ مثل ذلك . قلنا وهو امرٌ لا ندافعهُ فيهِ ولسنا نقول الخلاف ولكن مع تسليمنا بان المصحح يعلم ان هذه غلطة ويعلم وجه صحتها وهي مُثبَتةٌ في الكتاب على الغلط هل يكون ذلك وجباً لترك التنبيه عليها وهل يقدَّر ان كل من طالع هذا الكتاب تكون منزلتهُ من اللغة منزلة المصحح حتى يعلم صحة ما فيهِ من الغلط فيردّهُ الى وجههِ . والاّ فبأيّ سبيلٍ يتأتى للمبتدئ فهم ما وقع فيهِ مثل ذلك من العبارات وأيّ معجمٍ اذا طلب فيهِ لفظ « انتحل » فلم يجد المعنى الذي يوافق المقام يردّهُ الى « انتخل » حتى يبحث عن المعنى هناك

واما تبديل لفظ " في " بلفظ « من » ومطالبتهُ لنا باقامة الدليل على ضرورتهِ فمرجعهُ أن الامير يكتفي في مثل هذا بصحة التخريج في العبارة بحيث يكون للكلام وجهٌ يخرجهُ عن الغلط في القواعد ولو اختلّ المعنى واضطربت سلسلة النظم ونحن نعلم ان كلامنا في عبارة ابن المقفع كما ذكرناهُ آنفاً فلا نرضى منهُ الاّ بالفصيح المنقَّح الذي لا غبار عليهِ فالإعراض عن امثال هذه التخريجات في كلامهِ حتى نتسامح لهُ بها بعد ان نُلزِمهُ اياها أبرُّ بهِ وأنفى للظنّة عنا

ومن هذا القبيل مسئلة الضمائر في قولهِ « في تحرير صنوف العلم وتقسيم اقسامهِ وتجزئة اجزآئها » وذهابهُ الى ان تأنيث الضمير في قولهِ « اجزآئها » هو الوجه ليعود على الاقسام . وجوابهُ انهُ اذا كان ينبغي ردّ كل ضميرٍ في هذه العبارة الى صاحبهِ فقد كان الوجه ان يؤنث في قولهِ « اقسامهِ » ايضاً ليعود الضمير على الصنوف كما هو مرادهُ . وذلك أنهُ بعد ان قسّم العلم الى صنوف لم يبقَ معنًى لتقسيمهِ الى أقسام لان اقسام العلم وصنوفهُ شيءٌ واحد ولكنهُ

يريد ان تكون الاقسام للصنوف لانهُ جعل العلم صنوفاً ثم جعل تحت الصنوف اقساماً وتحت الاقسام اجزآء . وانما اضاف الاقسام الى ضمير العلم لدخولها تحت صنوفهِ ودخول هذه تحتهُ اذ كلها من متضمَّناتهِ وراجعةٌ اليهِ. وعليهِ فان صحّ ان تضاف الاقسام الى ضمير العلم صحّ ان يضاف ما بعدها اليهِ ايضاً على الوجه الذي اوضحناهُ والاّ لزم ان يؤنث في الكل ليطّرد الكلام على نظمٍ واحد

واما مسئلة تحريف العجز بالعجب فقد ذكرنا من وجهها في محلها ما يغني عن التكرار في هذا الموضع ولكن لا بأس ان نعزّز لهُ المعنى بان العجب انما يكون من الامر المستغرب الذي يُعدَل بهِ عن مقتضى الطبع او العادة وما ذكرهُ المؤلف هنا من طلب الدعة واللذّة امرٌ يميل اليهِ الانسان بطبعهِ لا ينفكّ عنهُ في حال والقيام بمهمّات الاعمال وأعبآء الخُطَط تكايفٌ خارجيٌّ وفيهِ من الاهتمام والنَصَب ما يستثقلهُ الطبع ويطلب التفادي منهُ ما امكن . على ان هذه المسئلة ليست مما نصّ عليهِ سيبويه ولا مما نقلهُ الفيروزابادي ولكنها من الامور المشاهدة كل يوم فلينظر الامير ان شآء فيمن حواليهِ من ارباب الخطط هل يجد فيهم من « يأخذ لعملهِ من طعامهِ وشرابهِ ونومهِ ولهوهِ » ... بل لو وجد فيهم واحداً يفعل مثل ذلك لكان هو « العجب » ولسمع من طنطنة الجرائد في تقريظ ذلك الواحد ما لا يسمع مثلهُ في تقريظ ما يهدَى اليها من الكتب والقصائد

واما ما وقع من تبديل الشانئ بالشأن في قولهِ « او يستخفّ لهُ شأنٌ » وتصحيحهُ الشأن ببنآء يستخفّ للمجهول فلو نظر نظرةً في احد كتب اللغة لأغنتهُ عن ان يتكلف نفي هذه التَبِعة عن الناسخ او الطابع ليُلحقها بنفسهِ وذلك ان الاستخفاف . . . بمعنى الاستهانة وهو بهذا المعنى لا يُعدَّى الا بالبآء فيقال استخفّ بهِ ولا يقال استخفّهُ . وما ندري ما كان الموجب لهذا التمحل في هذه اللفظة وما كان يضرّ الامير لو ردّها الى « مرتب الحروف » كما فعل في التي بعدها

« وقياساً لها على هفواتٍ أُخر وقعت بالطبع ايضاً » كما يقول

ومثل هذا ما أورده في الدفاع عن قولهِ « ليس بمتَّهمٍ على الحرص على رضاهُ » وقد استظهر في ذلك بما جآء في لسان العرب من قولهِ « أدخل عليهِ التَهَمة اي ما يُتهم عليهِ » حيث جرّ ما بعد يُتَّهم بعلى ولم يجرّهُ بفي . قلنا لكن لو جرَّهُ بفي وقال « ما يُتَّهم فيهِ » كما يقول الامير لم يستقم للكلام معنى لأن هذه الجملة تفسيرٌ للتهمة وهي ليست مما يُتهم فيهِ . وبيانهُ أنك تقول فلانٌ متهمٌ في حديثهِ مثلاً تعني انهُ متهمٌ فيهِ بالكذب فتحذف بالكذب اكتفاءً بدلالة المقام عليهِ ويكون قولك في حديثهِ ظرفاً للاتهام وهو الدليل على المحذوف. ومثلهُ قولك فلانٌ متَّهمٌ في أمانتهِ اي متهمٌ فيها بالخيانة ومتهمٌ في دينهِ اي متَّهمٌ فيهِ بالزندقة وهو استعمالٌ شائع ومنهُ قول المتنبي

وفي اليمين على ما انت واعدهُ ما دلّ أنك في الميعاد مُتَّهَمُ

اي متهمٌ فيهِ بالاخلاف . وقولهُ ايضاً

اعاذك الله من زمانهمِ فانهُ في الكرام مُتَّهَمُ

اي متهمٌ فيهم بالغدر وقس على ذلك . وعليهِ فلو قال في لسان العرب « ادخل عليهِ التهمة اي ما يُتهم فيهِ » بقيت التهمة ظرفاً لتهمةٍ اخرى مقدّرة وهو مما لا يتأتى تأويلهُ ولا تعقُّلهُ فتأمّلهُ . وبخلافهِ قول ابن المقفع « ليس بمتَّهم في الحرص على رضاهُ » فان التقدير ليس بمتَّهمٍ بالتفريط في الحرص على رضاهُ وهو الوجه الصحيح الذي لا تعسُّف فيهِ وهو مراد المؤلف كما يُستدرَك بادنى لمحة

ويتمشى على ذلك ما اعتذر بهِ عن قولهِ « جواباً بالشيء » حيث ذهب الى ان البآء تقع موقع عن وأورد عليهِ قولهُ ولا تسألوني بالنسآء (البيت) فجعل ذلك قياساً وهو من المحفوظات التي لا تتعدى المسموع عن العرب والاّ صحّ ان تقول ذهبتُ بزيدٍ اي ذهبت عنهُ وشتّان ما بين المعنيين . وكذا خلوتُ بهِ وانفردتُ بهِ وكلّمتهُ بلسان فلان وقُتِل زيدٌ بعمرٍو وفلانٌ مستغنٍ بما عندهُ

واشباه ذلك مما ياتي فيهِ المعنى بعكس المقصود فيبطل التفاهم . ويا ليت شعري ما الداعي الى هذا التمحل البعيد على ما فيهِ من الخروج عن مقتضى اللغة ولِمَ لا نقول ان الناسخ او المنضّد كرر البآء والالف من « جواباً » فجآءت العبارة على هذه الصورة وهل أقرب من هذا الى الاحتمال

ثم انتقل الى الاحتجاج عن قولهِ « او قال لك المسؤول عند المسئلة يُعاد لهُ بها دونك » فقال « نظن انكم سهوتم عن تتمة الجملة وهي قولهُ « فأجب » فهي مقول القول ومع الانتباه اليها لا يبقى محلٌّ للاعتراض » . قلنا ليس محلّ الاعتراض ما ذكرهُ بل الذي نراهُ ان مفعول القول هو قولهُ « دونك » ولذلك اكتفينا بهِ عما بعدهُ ولو جعلناهُ « فأجب » اشكل علينا موقع هذه الفآء في مفتتح الجواب وأحوَج تسديدهُ الى تقدير وتصوير مما يزيد في طينة الاعتراض بِلّة . انما الذي انكرناهُ في العبارة هو ما فيها من اضطراب التأليف واختلال السبك مما قدّرنا ان فيهِ شيئاً من الناسخ فهي من قبيل العبارة التي سبقتها ولذلك اوردناها بلا تنبيه

وبقي ما اخذناهُ على قولهِ « او رأيٍ يستزلّهُ منهُ » وهذه سلّم لنا بأن الاصل فيها « يستنزلهُ » قال « ولو لم تكن غلطة طبع لما تمحلنا لها جواباً » وهذه العبارة الاخيرة لم نفهمها والظاهر انهُ يريد ان يقول « لتمحلنا » مكان « لما تمحلنا » لانهُ لم يتمحل لها شيئاً والّا فقد اثبت ان كل ما تمحل لهُ الجواب مما سبق كان من غلط الطبع وهو ما انكرهُ في تلك الاغلاط كلها واثبت فيهِ العكس اي انهُ من اصل النسخة التي اخذ عنها

وهنا نمسك عن استتمام الجواب على بقية ما جآء من كلامهِ في هذا الموضع مخافة ان تندر من القلم رشاشةٌ يقع سوادها في بياض ما بيننا من الذمّة وهو ما حرصنا على تحاميهِ في هذا الجواب . وفي تصفّح ما تقدّم لنا في هذا الردّ ومراجعة ما ذكرناهُ في اواخر النقد ما يكفل لنا بالانصاف وان لم ينصفنا

الامير والله المسؤول ان يجعل لنا من الحقّ موقفاً لا نتعدَّاهُ ومن عرفان اقدارنا حدًّا لا نتجاوز مداهُ والسلام على من اتبع الهدى

حل اللغز الوارد في الجزء الرابع

لحضرة الشاعر المطبوع عبد الله افندي فريج

يا مُلغزًا في آسم جنسٍ انتَ افضلُهُ ... أهديتَ اهلَ النهى درًّا ومَرْجانا
لا زِلتَ بدرًا منيرًا في ذوي ادبٍ ... ولا بَرِحتَ لعينِ المجدِ (١٦٣)

وقد وردنا حلهُ ايضاً من حضرة الاديب امين افندي ابرهيم الخوجه بالغابة (الشرقية) فاجتزأنا بذكر الاول

لغز

الا يا اهل فضلٍ اخبروني ... عن آسمٍ جلَّ ذي قدرٍ وشانِ
فلولاهُ لما عمرت بلادٌ ... ولا فيها رقي ذو صولجانِ
تعظمهُ ملوكُ الارضِ طرًّا ... ويخشى بأسهُ ربُّ اليماني
خماسيُّ الحروفِ شبيهُ شمسٍ ... علت في اوجها اسمى مكانِ
فان اعجمت اولهُ تجدهُ ... مع الثاني اشار الى الغواني
وباقيهِ بتصحيفٍ وقلبٍ ... تراهُ زان اجيادَ الحسانِ
لهُ طرفانِ قد نُظما عقودًا ... ويُغذَى منهما قاصٍ ودانِ
فمن رام ازدياد الشرح فيهِ ... ليبدو للمحاجي بالعيانِ
هو الدنيا اذا التشويش فيهِ ... بدا بالحذف والتحريف ثانِ
فهاك اللغز من عبدٍ شكورٍ ... وجد بالحلّ يا ربَّ المعاني

عبد الله فريج

الاحصآء الجديد

تقدم لنا في الجزء الثاني من هذه المجلة ان الحكومة المصرية قد شرعت في احصآء جديد لسكان القطر وقد تمّ الآن هذا الاحصآء فكان مجموع الانفس المحصاة في القطر كله ٩,٦٥٤,٣٢٣ نفساً وقد كان في الاحصـآء الاخير الذي أُجري سنة ١٨٨٢ اي منذ ١٥ سنة ٦,٧٧٩,٠٤٠ نفساً فتكون الزيادة في الاحصآء الحالي ٢,٨٧٥,٢٨٣ نفساً وهي نحو ٤٢ في المئة وهذا بيان كلٍّ من الاحصآءين مفصلاً

المحافظات

سنة	القاهرة	الاسكندرية	دمياط	بورسعيد	السويس	العريش	المجموع
١٨٨٢	٣٨٠٣٢٣	٢٣٥٧٤٦	٤٣٦١٧	٢١٠٧٠	١١١٦٧	٣٩٢٣	٦٩٥٨٤٦
١٨٩٧	٥٧٦٤٠٠	٣١٩٧٦٧	٤٣٤٧٧	٤٣٠٣٧	١٨٠٦٨	١٦٩٩٢	١٠١٧٧٤١
الزيادة	١٩٦٠٧٧	٨٤٠٢١	١٤٠-	٢١٩٦٧	٦٩٠١	١٣٠٦٩	٣٢١٨٩٥

مديريات الوجه البحري

سنة	البحيرة	الشرقيه	الدقهليه	الغربيه	القليوبيه	المنوفيه	المجموع
١٨٨٢	٤١٣٨٨٢	٤٦٤٨٨٩	٥٨٦٠٣٤	٩٢٩٤٨٨	٢٧٠٤٨٦	٦٤٦٠١٣	٣٣١٠٧٩٢
١٨٩٧	٦٢٣٠٨٠	٧٤٧٣١٥	٧٣٧١٩٨	١٢٩٧٨٥٣	٣٧١٦١٠	٨٦٤١٤١	٤٦٤١١٩٧
الزيادة	٢٠٩١٩٨	٢٨٢٤٢٦	١٥١١٦٤	٣٦٨٣٦٥	١٠١١٢٤	٢١٨١٢٨	١٣٣٠٤٠٥

مديريات الوجه القبلي

سنة	اسيوط	بنى سويف	الفيوم	الجيزة
١٨٨٢	٥٦٢١٣٧	٢١٩٥٧٣	٢٢٨٧٠٩	٢٧٨٥٠٣
١٨٩٧	٧٥٦٠٣١	٣١٣٧٨٠	٣٧٠٦٧٦	٣٩٨٨٨٨
الزيادة	١٩٣٨٩٤	٩٤٢٠٧	١٤١٩٦٧	١٢٠٣٨٥

المنيا	جرجا	قنا	النوبه	المجموع
٣١٤٨١٨	٥٢١٤١٣	٤٨٨٧٢٠	١٥٨٥٢٩	٢٧٧٢٤٠٢
٥٤٢٨٥٩	٦٨٧٨٩٠	٧٠٥٠٨١	٢٢٠١٨٠	٣٩٩٥٣٨٥
٢٢٨٠٤١	١٦٦٤٧٧	٢١٦٣٦١	٦١٦٥١	١٢٢٢٩٨٣

الطاعون في جدة

وردت الانبآء الى ادارة الصحة عندنا في ٧ يونيو بوقوع اصابات في جُدَّة بين قوم من الحمّالين القادمين من حضرموت تشتبه باعراض الطاعون توفي بها في اليوم المذكور اربعة انفس وكان المصابون ١١ وتوفي في اليوم التالي اربعة آخرون وفي ٩ منهُ ثبت ان تلك الحوادث من الوبآء وقد بلغ عدد الوفيات منذ ١١ الى ٢٧ من الشهر الماضي ٣٧ وفاة وما عُرف من عدد الاصابات ١٣

وقد وجهت الحكومة العثمانية بعثًا طبيًّا لتدارُك امتدادهِ في تلك الناحية واحتاطت الحكومة المصرية باقامة الحجر في طورسينا مدة اثني عشر يومًا على القادمين من الحجاج مع المراقبة على خطّ الخليج بطولهِ وأُنفذت الاوامر من ادارة الصحة العمومية بالقاهرة الى مفتشي الصحة في جميع انحآء القطر ان يضعوا كل قادمٍ من الحجاج تحت المراقبة الصحية ويراقبوا كل ما يقع بينهم او فيما حولهم من حوادث مشتبهة الاعراض ويُشعِروا بها مصلحة الصحة تلغرافيًّا وصدرت اوامر أُخر الى العُمَد بانهُ اذا توفي احدٌ من الحجاج لا يُدفَن الّا بعد ان يكشف عنهُ مفتش الصحة الذي يكون في تلك الناحية والامل معقود باهتمام الحكومتين في صدّ غارة هذا الدآء وتشديد الحجر على القادمين بما يُؤمِن انتقالهُ الى الاماكن السليمة مع بذل اقصى العناية في امر النظافة الذي هو رأسٌ في الوقاية منهُ ولا سيما في هذا القطر مع ما فيهِ من توفر اسباب الوبالة وقلة اهتمام السكان بازالتها والله الواقي

اسئلة واجوبتها

جآءنا من حضرة الدكتور بتر ما مفادهُ أنهُ اطّلع على السؤال المنشور

في الجزء الاخير من البيان عمَّا نسبتهُ اليهِ احدى المجلّات العربية من القول في مسئلة الطاعون وان ذلك مختلقٌ عن لسانهِ لانهُ الى الآن لم يَتمّ تقريرهُ في هذا الخصوص ولكنهُ سيتمّ عما قليل ويُنشَر مطبوعاً فيقف عليهِ الخاصّ والعامّ

بورت سعيد — قد دفعني حب الوقوف على الحقائق ان اسألكم عما يفعلهُ بعض المشعوذين مما لو صحّ لعُدّ ضرباً من الكرامات وذلك كمن يُظهِر رأساً ناطقاً يبدي حركاتٍ باللسان والشفتين ولكنهُ بلا جثة وهو موضوع في صينية على مائدة والمائدة مكشوف ما تحتها بحيث لا يُرَى الّا الأرض فكيف ذلك

ميخائيل فارس

الجواب — هذا ما يسمى عند الافرنج بالسحر الابيض او السحر الطبيعي ويصحّ ان يسمى عندنا بالسحر الحلال وهو ضربٌ من التمويه على الحواسّ بذرائع طبيعية او كيماوية او غيرها ولهذا الفن كتب مخصوصة في لغات الافرنج فيها شرح ما يفعلونهُ من ذلك لمن احبّ تعلمهُ او الوقوف عليهِ . اما ما رأيتموهُ من الرأس الناطق وهو بغير جثة فصناعتهم فيهِ انهم يتخذون مائدةً مربّعة الشكل يجعلونها في صدر المحلّ الذي يكون فيهِ المشهد ويضعونها وضعاً منحرفاً بحيث يستقبل الداخل احدى قوائمها ويركّبون على الجانبين اللذين يكتنفان تلك القائمة مرآتين كلّ واحدةٍ منهما تملأ الجانب الذي هي فيهِ ويفرشون ارض المكان بتبنٍ ونحوهِ ليخفى طرف المرآتين الذي يلي الارض . وحينئذٍ يكون سطح المرآتين بالنسبة الى ارض المحلّ قائماً فيُرَى ما يليهما من منظر الارض ممتدًّا الى ما تحت المائدة ويكون بالنسبة الى الجدارين اللذين عن يمين المحلّ ويسارهِ على زاوية ٤٥° فيُرَى ما يقابلهما من منظر الجدارين ممتدًّا الى ما وراء المائدة فلا يشك الناظر أن هناك فراغاً لانهُ يرى الارض متصلة تحت المائدة والجدار متصلاً وراءها . ولتتمة الخدعة يجعلون امام كلٍّ من المرآتين مصباحاً على بعدٍ يخيّلهُ تحت وسط المائدة بحيث انهُ كيفما تحوّل الناظر يميناً او شمالاً يرى ذلك المصباح في

مكانهِ . ثم ان سطح المائدة يكون مقوَّرًا بمقدار ما يدخل منهُ رأس انسان فيضعون تحت المائدة كرسيًّا يُجلِسون عليهِ رجلاً فيختفي جسمهُ تحت المائدة ويبقى رأسهُ بارزًا فوقها ثم تؤخذ صينية مقوَّرة الوسط مقسومة الى قسمين فيُضمّ القسمان حول عنقهِ فيخيَّل للناظر أن الرأس موضوع على الصينية فيتكلم ويلتفت ويدور ذات اليمين وذات الشمال على قدر ما يتمكن القاعد من الحركة

آثار ادبية

الاجيال — هو اسم مجلةٍ مصوَّرة علمية ادبية صناعية ذات ثماني صفحاتٍ كبيرة تصدر يوم السبت من كل اسبوع بادارة حضرة الفاضل الاديب ميخائيل افندي الصقّال . وقد صدر العدد الاول منها بتأريخ ١٩ يونيو مصدّرًا بصورة مجلس النظار يرأسهُ الجناب العالي ويليها صورة حضرة صاحب الدولة حسين باشا كامل عمّ الجناب الخديوي ورسم معرض باريز لسنة ١٩٠٠ ورسم الجامع الازهر وغير ذلك من الصور الفنية والصناعية . وقد اشتمل هذا الجزء على عدة مقالات وتراجم وفصول ادبية واخبار علمية وغيرها مما يرتاح اليهِ المطالع . وقيمة الاشتراك السنوي فيها ٨٠ قرشًا اميريًّا في القطر المصري وليرة عثمانية في ممالك السلطنة و٢٥ فرنكًا في الممالك الاجنبية

ولما كانت هذه اول مجلة مصوَّرة في لغتنا وكنا في احتياج الى مجلةٍ من هذا النوع مما لا تجهل فوائدهُ فرجآؤنا في جمهور المتكلمين بهذه اللغة الاقبال عليها بما يضمن لها الثبات والنجاح

الايام — وردنا اعلان من حضرة الاديب يوسف افندي نعمان المعلوف بواشنطن يذكر فيهِ عزمهُ على نشر جريدة عربية سياسية معتدلة المنهج تسمى باسم « الايام » وقد جعل قيمة الاشتراك فيها ثلاثة ريالات اميركانية في السنة فنتمنى لهُ النجاح والتوفيق الى ما بهِ منفعة الامة والوطن